الفصل الثاني

الحرب العراقية
من أجل ماذا؟

الفصل الثاني

الحرب العراقية من أجل ماذا؟

غزت أمريكا العراق بعد حصار قاتل، حتى إذا وصل الضعف في الحكم مداه غزته بقوات ومعدات وتعاون من بعض أبناء البلد ومن بعض جيران العراق، ولكن السؤال الكبير ما زال يتردد، لمصلحة من كان هذا الغزو، ولمصلحة من فككت دولته وأحرقت (١٤) وزارة وبعض المكتبات، ونهب متحفه وسرح جيشه وشرطته، ونهبت -وما تزال- ثروته، ويقتل يومياً أبناؤه، لماذا ولمصلحة من كل هذا الهدم المبرمج أو غير المبرمج؟

«باتريك بوكانن»[1] المرشح لرئاسة الجمهورية الأمريكية يقول بلسان واضح مبين لا لبس فيه: إن الحرب على العراق جاءت لخدمة دولة واحدة هي إسرائيل، ومن أجل خدمة مصالح حزب واحد هو «الليكود»، ومن أجل رغبة شخص واحد هو شارون... أهـ

وكما يقول الشاعر (تعددت الأسباب والموت واحد) فهل توجد دولة في العالم صغيرة أم كبيرة، تغزو دولة وتفككها من أجل عيون دولة صديقة أم أن الأمر أكبر من ذلك؟

---

(١) صحيفة الحياة، ٢٠٠٣/١٢/١١م .

أساتذة من جامعة هارفرد:

اللوبي اليهودي وراء الحرب

أعد أكاديميان من جامعة هارفرد هما[1] (جون ماشماير وستيفن والت) وهما أستاذان في العلوم السياسية في (هارفرد)، وقد وجها لوماً شديداً إلى دور اللوبي الصهيوني الأمريكي (إيباك)، فهو يرسم بشكل أساسي السياسة الأمريكية الخارجية، والتي تعادي المصالح الأمريكية، كما تؤكد الدراسة الاتهامات الموجهة إلى المحافظين الجدد ودورهم في القرار على حرب العراق.

إن اللوبي الصهيوني يضمن استمرار أمريكا في اتباع سياسة موالية لإسرائيل مستخدمة تهمة «اللاسامية» لإسكات كل الأصوات المنتقدة لها.. علماً بأن دعم إسرائيل ليس في مصلحة أمريكا، بل يسهم هذا الدعم في زيادة الصعوبات في الحرب ضد الإرهاب، وأن إسرائيل تشكل عقبة في ذلك وغيره.

إن مشكلة السياسة الأمريكية ضد الإرهاب تعود لتحالفها الوثيق مع إسرائيل وليس العكس، وأما المزاعم الأمريكية بأن إسرائيل تستحق العلاقة الوثيقة معها باعتبارها دولة ديمقراطية فتلك لا أساس لها، فإسرائيل تستخدم التعذيب بحق الفلسطينيين، وهي وسائل لا تتفق مع القيم الأمريكية... أهـ.

الوثيقة صدرت باسم جامعة هارفرد، فقامت القيامة، وأول شيء حصل سحبت الجامعة اسمها، وطرد العميد المشارك، وباشرت التهديدات من كل جهة.. والباقي في الطريق.

المطلوب من الجميع عدم نقد إسرائيل، فذلك غير مسموح به في أي مكان، وعاش النفاق وعاش المنافقون الصغار والكبار، والعار والموت لكل شجاع يجرأ على نقد إسرائيل ولوبيها وعملائها الأحياء والأموات.

---

(١) صحيفة الحياة، ٢٠٠٦/٣/٢٢م .

كرستوفرلين: الحرب على العراق هدفها الهيمنة الأمريكية

(كرستوفر) عضو في التحالف من أجل سياسة خارجية واقعية، كتب في مجلة «أمريكان كنسير فايتف» قائلاً:[1] السبب الحقيقي للحرب العراقية لا علاقة له بالإرهاب، والعديد من مهندسي «الوهم» في الإدارة الأمريكية أمثال: بول وولفوفتيز ودجلاس فيت وريتشارد بيرك وأمثالهم قد وضعوا العراق على الصعيد «الجيوسياسي» نصب أعينهم حينما كانوا خارج السلطة في التسعينيات، ولقد ذهبت الإدارة الأمريكية للحرب كي تعزز من هيمنة أمريكا على العالم، ولكي تبسط سيطرتها على الشرق الأوسط؛ وذلك بإنشاء «قلعة عسكرية» دائمة في العراق، لفرض التحكم بمنطقة النفط، فتعطي واشنطن نفسها نفوذاً هائلاً في علاقتها مع أوروبا والصين... أهـ.

القضية من الوضوح والمنطقية بحيث لا يصعب إدراكها والتسليم بها، أما أسلحة الدمار الشامل فقد تبخرت، وأما الاتصال مع ابن لادن فنسي، وأما الديمقراطية فقد تحولت إلى طائفية والقادم أكبر وأعظم.

وعودة لأصل القضية من خطط لحرب العراق، وماذا يريد منها؟

هآرتس: اليهود خططوا لحرب العراق

من المعروف عن الرئيسين بوش الأب وكلينتون عدم حماسهما للحرب ضد العراق، وقد يكون من أسباب ذلك أن الأول قاد حرباً ضد العراق، وفرض الثاني حصاراً قاتلاً، فلم يبق من النظام العراقي سوى هيكل عظمي، يستطيع أن يفتك بشعبه، لكنه لم يعد يشكل خطراً على أحد من جيرانه أو غيرهم، وعجز عجزاً تاماً

(١) صحيفة الحياة، ٢٠٠٣/١٠/٢٣م .

عن الحركة؛ ولذا لا حاجة لحرب جديدة إلا إذا كان الهدف كسر هذا الهيكل العظمي وقد حصل.

صحيفة «هآرس» الإسرائيلية كتبت ونشرت مقالاً لمراسلها في واشنطن عنوانه (تقرير هآرس من واشنطن) جاء فيه:[1] ولدت فكرة الحرب على العراق في رأس (٢٥) مفكراً أمريكياً، من المحافظين الجدد «جميعهم تقريباً من اليهود» الذين يدفعون الرئيس الأمريكي إلى تغيير التاريخ، وإلى حرب كبرى، من أجل هيكلة شرق أوسط جديد، حرب أريد لها أن تغير الثقافة السياسية للمنطقة كلها.

وهذه المجموعة تبنت قبل سنة مشروع حرب على العراق، لاعتقاد أفرادها بأن أفكاراً سياسية يمكن أن تشكل قوة دفع مركزية في التاريخ، على أن يدمج الفكر السياسي الصحيح بين الأخلاقيات والقوة.

والمجموعة تضم يهوداً كثراً في الإدارة الأمريكية أمثال: ريتشارد بيرل، وبول ولفوفتيز، وداغ فات، وألوت إيراهامز، مع صحافيين، وكتاب أعمدة بارزين يهود، أمثال: بيل كريستول وتشارلز كراو تاير... أهـ.

التقرير لمراسل الصحيفة الإسرائيلة في واشنطن وهو يذكر المشاركين فرداً فرداً وهو موجود على الإنترنت، لذا لا إشكال، والصحيفة غير مهتمة وهي تذكر يهودية المشاركين وما يريدون من الحرب. بقي أن بعضهم يريد النفط، وآخرون يريدون الحرب ليعود السيد المسيح وجهات تريد أن تبيع السلاح وهكذا تعددت الأسباب والقاسم المشترك قيام الحرب، ولكل سببه وهدفه إن كل تدمير لبلد عربي أو مسلم يخلق مصلحة لهذا الطرف أو ذاك، لكن السؤال: ما مصلحة بعض أبنائنا للمساهمة في هذا الدمار؟

وما مصلحة بعض (جيران) العراق في المعاونة على ذلك؟؟

---

(١) صحيفة الحياة، ١٤٢٤/٨/٢٧هـ .

مستشارون يهود ببغداد

من محرضين يهود على الحرب إلى مستثمرين لنتائجها، فقد نشرت «بثينة الناصري» على موقع «مفكرة الإسلام» أسماء مستشارين يهود تعتقد أنهم من الموساد[1] يعملون ببغداد:

١- ديفيد تومي مستشار وزارة المالية.

٢- ديفيد لينش مستشار وزارة النقل.

٣- روبي رافيل مستشار وزارة التجارة.

٤- هولي شاتز مستشار وزارة الزراعة.

٥- تسموئي كارني مستشار وزارة الصناعة.

٦- دون إيبرلي مستشار وزارة الرياضة.

٧- دور ابردمان مستشار وزارة التعليم العالي.

يضاف لما تقدم ستة مستشارين لوزارة التربية... وكلهم -بحمد الله- من مؤسسة «راند» الأمريكية.... وفوق هؤلاء جميعاً أستاذ مساعد له في الخدمة الجامعية أقل من سنتين، ورأس حاله أنه يهودي ويحسن العبرية واسمه «نوح»، هو مستشار لوضع «الدستور»!!

وللحقيقة فالعراق اليوم بحاجة لمستشارين للتعذيب الجيد وللمقابر الجماعية، ومثلهم خبراء في معرفة السجون السرية، لتكتمل الخدمات الحضارية العظيمة، كما

---

(١) صحيفة البصائر العراقية، العدد (١٢)، ٢٠٠٣/١٠/٢٩م .

يحتاج العراق اليوم لحفاري قبور فردية وجماعية فعسى أن لا يبخل علينا أحد بهذه الخدمات، نظراً لحاجتنا الشديدة وهرب من كانوا يتعاطونها إلى خارج العراق!!

بوش: المطلوب طريقة لغزو العراق

بوش الأب غزا العراق وجيّش خلفه دولاً عربية وغيرها، وفرض حصاراً أكمله الرئيس كلينتون، ثم جاء بوش الابن مدفوعاً من أساتذته من اليمين الصهيوني، فقرر الغزو بأي ثمن وبأي حجة، وهذا ليس تخميناً ولا استنتاجاً ولكنه ما قاله وسطره رجل شريف.

كتب وزير الخزانه السابق في حكومة بوش «بول أونيل»[1] كتاباً عنوانه (ثمن الولاء) ذكر فيه أن «بوش» عقد جلسة للأمن القومي في ٢٠٠١/١٢/٣٠م ـ أي بعد عشرة أيام من انتخابه وتوليه الرئاسة ـ أبلغ فيه فريقه بقرارين:

الأول: يتعلق بتنحية قضية السلام بفلسطين جانباً.

والثاني: التركيز على العراق وضرورة غزوه عسكرياً، وقال: اذهبوا واعثروا لي على طريقة لتنفيذ ذلك... وكان هذا قبل (١١سبتمبر) بتسعة أشهر.

فالرئيس جاء وفي رأسه قرار يبحث له عن مبررات، إنه مثل كثير من المستشرقين عنده حكم مسبق، يبحث له عن دليل، فإن عجز تلاعب وحذف وبدل واخترع وكذب.

وهناك من يقول: بأن في أمريكا «مطابخ» تطبخ الأدلة والبراهين وتخترعها اختراعاً، ومع ذلك فلدينا عميان من «بني علمان» لا يعجبهم العجب ولا الصيام في

(١) الحياة، ٢٠٠٤/٢/٤م، من مقال لمحمود عوض (ثمن الشياطين).

شعبان أو رجب، الشيء الوحيد ما يجري في أمريكا ومطابخ أمريكا ولو كان ضرب بلادهم بالقنابل الذكية والغبية، وقنبلة جهنم التي تحرق الأوكسجين، فتقتل كل حي من إنسان وحيوان ونبات، ومع كل ذلك فلأمريكا عشاق من أبنائنا (ومن الحب ما قتل)!!

حرب العراق غير شرعية

أكثر من جهة ومنها هيئة الأمم وأمينها العام وأساتذة في جامعات وساسة كلهم يقولون: إن حرب العراق غير شرعية، فالعراق لم يكن يهدد أمن أمريكا ولا غيرها، وليس فيه أسلحة دمار شامل ولا صلة له بالإرهابيين، ومع ذلك قامت الحرب وما زالت، والعالم يتفرج، ويعجز عن فعل شيء.

أستاذ في القانون الدولي أمريكي اسمه «أدفيرماج»[1] يقول: يقود الرئيس بوش بلاده إلى حرب غير دستورية، وتنتهك القانون الدولي، وتتعدى على حقوقنا المدنيّة الخاصة، وهي تهدد أمننا القومي، بسبب انتهاكها معايير المنطق السليم وذلك بكونها:

١- تنتهك دستور البلاد.

٢- كذلك القانون الدولي، بما فيه العديد من المعاهدات التي ننتمي إليها، وقد صارت جزءاً من القانون الداخلي، وذلك بحكم الدستور... وكل ذلك يمنعنا من شن حرب عدوانية إذا لم نهاجم من جانب العراق، وهي تشكل جريمة حرب... أهـ.

والسؤال: لعيون من إذن تشن هذه الحروب هنا وهناك ويجري التهديد بحروب جديدة؟

---

(١) عراق المستقبل، رجيف سيمونز، دار الساقي، طبعه ٢٠٠٤م، ص (٢٩).

إنجازات حضارية عظيمة

بالرغم من كل الصراخ حول حقوق الإنسان، فالإنسان يعذّب، والسعيد من يموت خلال أيام، أحد زبانية صدام يقول: نمسك المتهم فإن اعترف بما نريد سلم من التعذيب وسيق للمحكمة، ولكن المشكلة فيمن ليس لديه جريمة، فيظل تحت التعذيب حتى يموت.

كان المعتقد أن التعذيب من نصيب دول العالم الثالث وإسرائيل، وإذا (الكل في الهوى سوى) الكل يُعذِّب ويستنكر التعذيب، القضية مثل «الكذب والفساد»، كل العالم يذمون الكذب ويحتقرون الكذابين، ويلعنون الفساد والمفسدين... وهؤلاء الكذابون جاؤوا من المريخ كما يبدو.

وزير عربي يقول ويكرر: كل شيء يتراجع إلا الفساد فهو كالسرطان، تنقسم فيه الخلية، والخلية حتى يموت المريض، ومع ذلك فالكل يذم الفساد ويلعن المفسدين، إذن من يتعاطاه وفي كل مكان؟

سأكتفي بإنجازين حضاريين عظيمين:

الأول: ينقله الكاتب «رجيف سيمونز» في كتابه «عراق المستقبل» يتحدث عن نقل ما يقارب ستة آلاف معتقل أفغاني من الشمال الغربي من أفغانستان ونقلهم إلى الجنوب؛ وذلك في تشرين الثاني من عام (٢٠٠٢م) وضع الألوف في حاويات لنقل البضائع، وفوق شاحنات، وتحت الشمس، وأغلقت الشاحنات بلا طعام ولا ماء، وعندما ضربهم العطش والاختناق، راحوا يضربون بأيديهم، وهنا قام جنود الجنرال الشيوعي (رشيد رستم)، فتحوا الحاويات، وفتحوا النار من أسلحتهم فمات من مات عطشاً، ومات أكثر من نصف العدد. وحين وصلت القافلة إلى «شبرغان» كانت الأكثرية قد فارقت الحياة، وعندما توقفت القافلة راح الجنود الأمريكان

يتفرجون على الجثث تنزل من الحاويات فتذكروا أمراً واحداً، وهو قد تصور المنظر الحضاري بعض الأقمار الصناعية فنصحوا الجنود أن يسرعوا بإفراغ البضاعة «التالفة».

جندي من جنود التحالف أدلى بما شاهد لصحيفة «ذي غارديان» في ٢٠٠٣/٥/٢٥م ومما قاله: شاهدت حوالي (٤٠) جندياً من القوات الخاصة وقد ألقوا الأحياء والأموات في حفر ثم قاموا بإطلاق النار عليهم... [١] أهـ

هذا الحدث نقلته أكثر من صحيفة ألمانية وأمريكية... والسؤال: وماذا بعد؟

الحدث الثاني: أعظم حضارة من الأول: فقد نشرت صحيفة «معاريف» على صفحتها على الإنترنت، فنقلته عنها صحيفة الحياة تحت عنوان «روليت التنكيل في الحاجز» جاء فيه: إن مجموعة من حرس الحدود الإسرائيلية أوقفوا مجموعة من العمال الفلسطينين عند حاجز «أبي رديس» قرب القدس، وجمعوا كل البطاقات ثم أجروا قرعة لاختيار اثنين فقط من مجموع عشرين، فخرجت القرعة على العامل (سميح) وعامل آخر، وأمر الباقون بالعودة من حيث جاؤوا، بعد ذلك عرض عليهم شرطة الحدود أن يشربوا «بولاً» في قارورات وإلا كسروا أيديهم وأرجلهم، رفض سميح وصاحبه الشرب، فضربوهم وأمسكوا بسميح وفتحوا فمه وصبوا البول فيه، حتى فقد وعيه، ونقل للمستشفى، ومكث يومين وكان في وضع هستيري، وهو يجهل مصير صاحبه، ولم يتقدم بشكوى؛ لأن الشرطة سيدَّعون أن سميح هو الذي اعتدى عليهم وسيصدق هذا الادعاء... أهـ

هل سمع العالم بمثل هذا العمل الحضاري العظيم؟ إنه وسيلة جديدة لنشر المحبة أليس كذلك؟

---

(١) عراق المستقبل، ص (٣٧).

الحرب على العراق وقنبلة جهنم

حين تدور آلة الموت والدمار، يصعب على الإنسان إيقافها أو التكهن بخسائرها.

الكاتب «رجيف سيمونز» وهو يرسم صورة لعراق المستقبل كتب يقول:[1] لقد دخلت الدبابات الأمريكية بغداد في غضون أقل من ثلاثة أسابيع، بعد أن أطلقت حوالي (٨٠٠) صاروخ توماهوك مع (٢٠) ألف طلعة جوية، ألقت أكثر من (٥٠) قنبلة عنقودية، وأطلقت (١٢,٠٠٠) قذيفة ذات توجيه دقيق، واستخدمت قنابل بمزيج من الوقود والهواء، تعادل قوة انفجار كل منها قوة قنبلة «نووية» تكتيكية، وبلغت الخسائر البشرية العراقية عشرات الألوف، في مقابل (٨٨) قتيلاً للحلفاء، منهم (٣٤) قتلوا بنيران صديقة... أهـ.

هذا تقرير «رجيف» أما وزير الدفاع الأمريكي «رامسفيلد» فقد أوضح ما يعنيه «رجيف» عن قنابل المزيج من الوقود والهواء فأسماها قنابل (جهنم) وقال: هي تحرق الأوكسجين، وهكذا أوقفت بغداد الحرب لعدم التكافؤ، وكي لا تموت بغداد التي يسكنها أكثر من خمسة ملايين.

هذه حرب «الحضارة»، بالأمس كان الجندي يحمل سيفاً فلا يقتل إلا مقاتلاً، واليوم أمدتنا الحضارة بقنابل جهنم وبغيرها، فصار الإنسان البعيد عن الحرب أول الضحايا، بالأمس كان المحارب الشجاع هو الذي ينتصر، واليوم ينتصر الجبان الذي لديه سلاح فتاك، يرسله من وراء البحار ومن ظهر بارجة على بعد مئات الكيلومترات، ودون أن تهتز في جسمه شعرة، ويتساءل الناس عن سبب هذه الحرب فيجدون أكاذيب لا أساس لها، ويجدون شعارات طنانة، ويتساءل الناس: أهكذا تقاد الأمم والشعوب؟

---

(١) عراق المستقبل، ص (٨١).

العراق بين الأمس واليوم

هاجمت إنكلترا العراق في الحرب العالمية الأولى، واستبسل الأتراك في الدفاع، وتوقفت دوامة الحرب، ووقف الجنرال «مود» يتحدث كما يتحدث الرئيس بوش، ويعطي ذات الوعود، ومع ذلك لم تغادر الجيوش البريطانية إلا بعد أربعين عاماً، وكان «النفط» هو ما سال له اللعاب البريطاني بالأمس، ويسيل له اللعاب والدم اليوم. الكاتب «رجيف» يسجل بعض مفارقات الأمس لعلنا نستفيد منها اليوم فيقول[1]: ... عندما احتجت وزارة الخارجية الأمريكية، نيابة عن شركة «ساندر أويل» الأمريكية، شعر وزير الخارجية البريطانية - آنذاك - اللورد كورزن بما يكفي من الثقة والاعتداد بالنفس ليعلن في ١٩٢١/٤/٢١م: أن الشركات الأمريكية الراغبة في الوصول إلى منابع النفط، في منطقة الشرق الأوسط البريطانية لن تعطى أية امتيازات... أهـ.

فهل تعلمت بريطانيا الدرس ومثلها غيرها فخططت للحصول على نصيبها من «الكعكة» العراقية، وعدم الخروج من المولد بلا حمص ولا فلفل؟

ومرة أخرى: أهكذا تساس دول العالم، وبهذه العقلية؟ ثم نغطي كل ذلك بالحديث عن الديموقراطية وحقوق الإنسان؟

الانتخابات بين الأمس واليوم

المقارنة بين الجنرال «مود» ووعوده العظيمة والجنرال بوش ووعوده الأعظم، حملني على المقارنة بين انتخابات عراقية جرت عام ١٩٢٢م وأخت لها بعد سقوط بغداد وبعد ما يزيد على (٨٠) عاماً.

ففي ١٩٢٢/١٠/٢٠م أصدر «عبدالمحسن السعدون»[2] بصفته وزيراً للداخلية

---

(١) عراق المستقبل، ص (١٣٢).

(٢) عراق بلا قيادة، عادل رؤوف، الطبعة الأولى، ص (١٧).

أوامره بالشروع لإجراء انتخابات للمجلس التأسيسي... فأفتى علماء من «الشيعة» بوجوب مقاطعتها؛ لأن البلاد محتلة... فشلت الانتخابات، مما حمل الحكومة العراقية على إعادتها عام ١٩٢٣م.

وهنا أصدرت الحكومة العراقية تعديلاً لقانون العقوبات، يخول الحكومة «نفي الأجانب بسبب جنحة يرتكبونها»... وفي ١٩٢٣/٦/١٧م قررت الحكومة العراقية الشروع بالانتخابات، ومهدت لذلك بنفي الأجانب الذين يقاومون إجراء الانتخابات، وكان على رأس المبعدين الشيخ الخالصي، وأبو الحسن الأصفهاني والناييني وغيرهم... وبدأ التسفير في ١٩٢٣/٧/١م، ثم أجريت الانتخابات بسلام.

وبعد أكثر من (٨٠) عاماً جرى احتلال العراق مجدداً، وطلب المحتل إجراء انتخابات وصدرت «فتاوى» تقول بوجوب المشاركة في الانتخابات، وبكونها من الأعمال الشرعية، وقدَّمها «بعضهم» على الصلاة، والسؤال: ما الفرق الكبير بين استعمار العراق عقب الحرب العالمية الأولى واليوم؟ وما الفرق الكبير بين الجنرال مود والجنرال بوش؟

ابحث عن النفط والنفوطيين

كان يقال: ابحث عن المرأة، يوم كانت من القطع «النادر»، فلما ساحت في الشوارع ولم تعد تدفع يد «لامس» رفع شعار: ابحث عن النفط، «رجيف» الشجاع متابع للموضوع في كل مكان، فينقل عن الصحفي البريطاني.. «فسك»[1] وهو من الشجعان القلائل الذين لم يقتلوا بعد، وأحسب أنه سيقتل قريباً في العراق وأن يقال: جرى قتله خطأ... «رجيف» ينقل عن «فسك» قوله: كل من قابلتهم في «عمان» من المسلمين يعتقدون أن النفط وحده يفسر حماسة «بوش» لغزو العراق، وكذلك يعتقد الإسرائيليون، ويعلق فسك: وأنا أيضاً.

(١) عراق المستقبل، ص (٣١٤).

وأنا ـ وكثير أمثالي ـ ننادي: تعددت الأسباب والموت واحد، النفط من هنا وإسرائيل من هناك والمهووسون بعودة السيد المسيح من طرف، كلها ساهمت مع جنرالات الجيش الأمريكي وشركات صنع السلاح وشركات كبرى أخرى كلها ساهمت في (العرس الأمريكي)، والكل يطمع بقطعة من الكعكة العراقية وما يتبعها، لقد فتحت «شهية» الكل من الحيتان الكبيرة والصغيرة، وربنا يحفظ ويستر.

بين النفط والموز والحرب

تعجبني خفة دم بعضهم وحسن تعليقاته، كما يكتم أنفاسي ويصيبني بالإحباط كل متنطع متشدد في موضع لا يستحق التشدد، وللأسف فقد صار المتنطعون أكثر ـ ولو قليلاً ـ من البعوض والذباب.

«لورنس كروب» مساعد وزير دفاع سابق يعلق على حرب الكويت فيقول:[1] لو كانت الكويت ممن ينتج الموز بدلاً وعوضاً عن البترول، لما كنا أرسلنا (٤٠٠) ألف جندي أمريكي للقتال هناك... أهـ.

أما أنا ـ العبد الضعيف ـ فأذهب إلى أبعد من ذلك مدعياً أن المسؤولين الأمريكان ومثلهم الجنرالات ومدراء الشركات النفطية الكبرى والكثير من مدراء الشركات الأمريكية لهم (حاسة) تشبه تماماً بعض الرادارات الحساسة، تشم النفط وهو في باطن الأرض، وتقدر الأرباح والعوائد دون حاجة إلى جهاز حاسوب دقيق؛ لذا أنصح أهل كل بلد تحل به أزمة أو يريد أن تتدخل أمريكا، أنصحه لوجه الله أن يشتري باخرة تحمل نفطاً، وليكن من الثقيل السيئ، ثم يحقنه في الأرض، ثم يقول: اكتشفنا نفطاً جيداً لدينا وبكميات تجارية، وعندها يأتيه الفرج، فخلال أسبوع

(١) المرجع السابق، ص (٣٣١).

سيحل ببلده الخبراء أو الخبثاء، وتنهال عليه القروض، ويستدعي الأخ الحاكم لزيارة واشنطن، فلا شيء اليوم أقرب إلى قلب واشنطن من رائحة النفط، إنه أطيب وأعظم رائحة في العالم!!

ومن لا يصدق فهذه قائمة بالشخصيات «النفوطه» يقدمها «رجيف» خدمة مجانية، وأجره وأجركم على الله الكريم..

قائمة النفوطيين الأمريكان اليوم وغداً

يستعرض الكاتب «رجيف» الكثير من الشخصيات الأمريكية الكبرى «المنفوطة»، يستعرضها من الأكبر إلى الأصغر، ويعرّف بها تعريفاً «مرحاً»[1]:

١- جورج بوش ـ الابن ـ رجل أعمال فاشل في مجال النفط بتكساس، وله شركة مختصة بالتنقيب اسمها (اربوستر) كادت تفلس، قبل أن تشتريها شركة «سيكتروم»، وقد بيعت بدورها إلى شركة «هاركن» وجرى الاحتفاظ «ببوش» كعضو في مجلس الإدارة، وذلك بفضل صلاته الكثيرة.

٢- جيمس بيكر من عينة بوش، عينه بوش الأب وزيراً للخارجية، وانتدبه بوش الابن لمعالجة ديون العراق.

٣- ديك تشيني: نائب الرئيس الأمريكي، رئيس سابق لشركة «هاليبرتون» أكبر شركة لخدمات الحقول النفطية في العالم، وهي تنفذ مشاريع للمؤسسة العسكرية الأمريكية بينها مشاريع بناء وغيرها.

٤- دونالد رامسفيلد: وزير الدفاع الأمريكي ورئيس سابق لشركة أدوية ذات صلة بالصناعات البترولية.

---

(١) عراق المستقبل، ص (٣٣٤).

٥- كوندليزرايس: مستشارة الأمن القومي سابقاً، وزيرة الخارجية حالياً، كانت عضوة في مجلس إدارة شركة «شفرون» وتحمل ناقلة بترول اسمها، لفترة من الزمن.

٦- دون إيفانز: وزير التجارة، رئيس سابق لشركة «توم براون إنك» شركة كبيرة رأسمالها نصف بليون دولار، تعمل في النفط والغاز، مقرها في «دنفر» كانت عضواً في مجلس إدارة شركة T.M.B.R المختصة في حفر آبار البترول والغاز.

٧- غيل نورتون: وزير الداخلية، محام يمثل شركة «دلتا بتروليوم» التي ترأس تحالف أنصار البيئة الجمهوريين، والذي تساهم شركة «برتش بتروليوم - أموكو» في تمويله.

وأخيراً فإن السياسة الخارجية لأمريكا ترسمها زمرة من أصحاب المصالح البترولية، فتصوغ السياسة على أساس اعتماد أمريكا على البترول، الأمر الذي كان يجابه شركات البترول بتحدٍ فريد من نوعه، ويزيد من حدة التوترات الدولية... أهـ.

هؤلاء «المنفوطون» يقودون العالم اليوم، وأحلامهم في اليقظة والنوم تدور كلها حول النفط، كما أن جميع أحلام «القطط» تدور حول الفئران.

رئيس أمريكي سابق رسم معادلة صعبة فقال: لا يمكن المساهمة في الانتخابات والنجاح دون شركات النفط، ولا يمكن الحكم مع قيام شركات النفط...

فهل عند أحد من حل لهذه المعادلة الصعبة؟

دفاع عن النفس على الطريقة الإسرائيلية

إسرائيل تنشر القتل والدمار، تغتال من تشاء، وتضرب المدن بقنابل زنة (طن)، وتبني جداراً فاصلاً، وتضرب المدراس وتغلق الممرات، وتعلن منع التجول في المدن الفلسطينية لأيام، والخلاصة تجعل من الحياة الفلسطينية جحيماً لا يطاق، وتعلل ذلك وغيره «بالدفاع عن النفس» وتؤيدها أمريكا ويلتزم العالم الصمت.

هذه السياسة انتقلت من المعشوق للعاشق، فكل حرب تعلنها أمريكا ضد معلوم أو مجهول، موجود أو معدوم، فهي «دفاع عن النفس» ومن لا يعجبه فأمامه البحر يشربه أو يموت غرقاً أو قهراً وكمداً.

الشجاع «رجيف» يصور هذه الحالة الفريدة أفضل تصوير إذ يقول:[1] أصدرت لجنة التراسل من أجل الديمقراطية والاشتراكية في نيويورك في ٢٠٠٢/٧/٦م ـ وهذه منظمة توصف بأنها راديكاليّة ـ تحدثت عن سياسة «بوش» قائلة: إنها تستهدف تعطيل ميثاق الأمم المتحدة، فالبيت الأبيض بتعجرفه وتوكيده أن له الحق في إعلان أي دولة أو منظمة أو حركة بمثابة «تهديد» إما لبلدنا ومصالحه في الخارج أو مصالح أي دولة أخرى نضعها تحت عباءة حمايتنا، سواء أطلبوا ذلك أم لا، وتقول «نظرية بوش»: بناء على ذلك فإن للولايات المتحدة الحق في استخدام القوة العسكرية الهجومية، بموجب هذا الحق، حق الدفاع عن النفس الوارد في ميثاق الأمم المتحدة.

إن هذا الفهم العجيب الذي طلع به «بوش» للتذرع ولتبرير العدوان العسكري الأمريكي، وفي أي مكان في العالم، يتجلى بوضوح في العراق.

ففي وسعنا أن نضرب العراقيين بالقنابل مدة عشر سنوات، ونقاطع بلادهم،

---

(١) عراق المستقبل، ص (٣٤١).

ونقتل أطفالهم بالتجويع والمرض، وهكذا نحول أمة بكاملها إلى حالة من تخلف ميؤوس منه دولياً، ثم نقول إن علينا أن نغزوهم لخدمتهم بشكل أفضل، ولإزالة التهديد للأمن الأمريكي... أهـ.

وحتى تتبين ـ بشكل أوضح هذه الصورة ـ لنفترض أن هذا المنطق تبنته الصين والهند وروسيا وألمانيا وفرنسا وإنكلترا، وكل دولة هاجمت دولاً بهذه الحجة فماذا يكون مصير العالم سوى قيام حرب كونية رابعة أو خامسة تقضي على الحياة لأمم وشعوب، عيبها أنها ضعيفة ولها جار قوي.. !!

الدفاع عن النفس مشروع ديناً وشرعاً وقانوناً، ولكن ليس بهـــذه «الطبعة الإسرائيلية الأمريكية».

نحن السادة وعليكم مسح الأحذية

أسارع للقول بأن هذا الكلام ليس لي، ولكن لذلك الرجل اليهودي الأمريكي الذي لا يخاف أحداً ولا يهاب كبيراً ولا صغيراً، والذي يوصف بأنه معارض متعب، والذي اختير أخيراً من أكثر المفكرين تأثيراً في استفتاء شمل ٢٠,٠٠٠، ففاز بالمركز الأول، كما فاز كل من الشيخ القرضاوي والداعية طارق سعيد رمضان.

يقول د. نعوم تشومسكي[1]: إن العدو الأضعف كثيراً يجب أن يطحن طحناً، لا أن يهـزم فقط، هذا إذا أريد تلقين من يلزم الدرس الأساسي في النظام العالمي الجديد؛ **نحن السادة وأنتم تمسحون أحذيتنا**.... أهـ.

مفهوم جديد لاستعمار جديد، كان الاستعمار القديم يكتفي أن يهزم خصمه، أما الاستعمار الجديد فهو ليس بحاجة لهذا الخصم؛ ولذا يجب أن يطحنه طحناً، والهدف أن يتخلص منه أولاً، وأن يخيف من وراءه، وهذه هي السياسة الجديدة،

(١) عراق المستقبل، ص (٣٦٣).

اضرب الضعيف ضربة تجعل غيره يطير قلبه خوفاً ورعباً فلا يتحرك ولا يعارض، بل يؤيد نفاقاً أو يلتزم الصمت.

أما مسح الأحذية فصارت من مهمات الكبار ومن قبلها سمعنا: (افهم يا غبي) وسنسمع أدباً دبلوماسياً جديداً من نوع (إلهي أكبر من إلهك) ومثل (أنا أحارب فأنا موجود)، وقد نسمع غداً (أنا أنهب فأنا موجود) ومثل (أنا أقتل فأنا شجاع) ومثل (أنا أعذّب فأنا متحضر).

لقد تصور العالم أن العنصرية قد ماتت، فإذا هي حية تسعى!!

الوضع في العراق صار مزرياً

نشرت صحيفة «نيوزويك» في عددها (١٨٣) قولاً لمسؤول في إدارة بوش يقول[١]: أصبحنا نقف وجهاً لوجه أمام حدود إمكاناتنا، وصرنا ندرك أن استراتيجية «التغيير» التي كسبنا بها الحرب لم تعد مجدية لكسب السلام.

لقد صار الوضع في العراق مزرياً ومكلفاً من الناحيتين البشرية والمالية، إلى درجة لم يعد هناك ما يدعو بصورة جدية لتنفيذ «الخطة الأساسية» التي يسعى «المحافظون الجدد» لتنفيذها وهي «تغيير الأنظمة الحاكمة» في أي دولة، فقد بات واضحاً أن العسكريين الأمريكيين يواجهون شحاً في الإمكانات، وهكذا تبخرت التهديدات الموجهة لسوريا وكوريا الشمالية، وأما بالنسبة لإيران فقد صارت الإدارة الأمريكية أكثر ميلاً لاستخدام وسائل مساعدة مثل: هيئة الأمم، ووكالة الطاقة الذرية.

---

(١) مجلة البيان، العدد ٩٧ لعام ١٤٢٥هـ، ص (١٠٣).

وبعد تكشف الضعف الذي يعانيه الرئيس بوش فقد تجرأ بعض الديمقراطيين الذين كانوا خائفين من أمثال: نانسي بيلوسي، زعيمة الأكثرية الديمقراطية في مجلس النواب، على مهاجمة الرئيس.

وفي الحزب الجمهوري ازداد نفوذ التيار التقليدي، الذي يتبع منهج الرئيس السابق «جيفرسون» والرافض للانتشار الأمريكي على نطاق أوسع مما يجب، وقد اضطر (بوش) إلى التجاوب مع هذا التيار إلى حد كبير.

أما أصلب المحافظين الجدد، والذين سيطروا على مقاليد الأمور في واشنطن لفترة ما، صاروا يخشون من عودة الروح إلى ما أطلق عليه بـ «الانعزالية الجديدة»... والسؤال: هل يتحول المحافظون الجدد إلى «ملفات قديمة» تحفظ في الأرشيف؟ أهـ.

كل شيء في الحياة له ثمن، النصر له ثمن، واستثماره الجيد له ثمن، والفشل في استثماره له ثمن، ولا يكفي أن ينتصر الإنسان في معركة ثم ينام.

السياسة الأمريكية لم تحسب للشعب العراقي حساباً، وسمعت من «بعضهم» طروحات لا أساس لها، ولما جد الجد تبخرت الأحلام، وهرب بعض الناس ومعه بضعة ملايين ليضعها في بنوك الغرب ويقتات من فوائدها، وعلى أمريكا وقواتها وخزينتها أن تتحمل الثمن، وقديماً قيل: من يأكل العصي ليس كمن يعدها، ومن يده في النار ليس كمن يده في الماء.

لقد دفع الشعب العراقي -وما زال- ثمناً عالياً، وتدفع قوات الاحتلال وحلفاؤها ثمناً كبيراً، وهناك معركة «عض الأصابع» وننتظر من يصبر أطول.

ما مهمة السياسة الأمريكية

كثير جداً من الناس الذين يتساءلون ماالذي تريد السياسة الأمريكية تحقيقه، وإلى أين تقود العالم؟ كذلك يتساءلون: كيف تحولت الحرب على الإرهاب إلى إرهاب؟ وكيف تسقط دولة مثل الولايات المتحدة بأيدي العسكر؟

لعل خير من يجيب عن مثل هذا التساؤل رجل مثل «تشارلز جونسون» المستشار السابق للأمن القومي لدى وكالة الاستخبارات المركزية.

لقد كتب الرجل ـ قبل الهجوم على الأبراج ـ في ((١١) سبتمبر) يدق ناقوس الخطر، ولا أحسبه من المتهمين فهو يقول[1]: إن الأمريكان وإن جهلوا على العموم مما حصل ويحصل باسمهم، فإنه من الوارد أن يدفعوا ثمناً باهظاً لقاء محاولات حكومتهم المتواصلة للسيطرة على «المشهد الكوني»، والثمن المقدر سيكون إرهاباً ضد الأمريكيين المدنيين... وليست مهمة نشر الديمقراطية أو تمهيد السبل للوفرة الاقتصادية شاغلها، إن هناك (٧٢٥) مقراً عسكرياً أمريكياً في العالم يوجد فيها «ربع مليون» عسكري، معهم عوائلهم، فضلاً عن الموظفيين المدنيين، الذين يصرِّفون شؤونهم الخاصة، وهؤلاء جميعاً بمعزل عن طائلة قانون البلد الذي يقيمون فيه.

وما كان خلال الحرب «الباردة» بمثابة سياسة إمبراطورية «متسترة» ومترددة بالأمس، فقد حدث ـ بعد ذلك ـ تسلط عسكري، وهيمنة اقتصادية لا (حياء) فيها.. قد يقال بأن «عسكرة» السياسة الخارجية ليس مردها جنوح إمبراطوري، حتى وإن توافرت نوايا هذا «الجنوح» من قبل فالحرب على العراق مثلاً لم تشن من أجل النفط وحده، أو نزولاً عند رغبة أتباع «اليمين الإسرائيلي المحافظ» عموماً، أو لمجرد التهرب من مواجهة تحديات السياسة الداخلية، وإنما أيضاً كعاقبة لحقيقة

(١) صحيفة الحياة، ١٤٢٥/١/١٦هـ، من مقال (الحرب على الإرهاب).

العسكرة الإمبراطورية للسياسة الخارجية أولاً، في ظل تعاظم دور القيادة العسكرية على حساب السلك الدبلوماسي، وغياب المنافس القوي في الساحة الدولية... أهـ.

يمكن القول بأن ثمة طرحاً جديداً، لا يتغافل عن الطروحات الأخرى، ولكنه يضيف جديداً هو «عسكرة السياسة الخارجية» لأمريكا.

هنا أستحضر قضية تذكر إذ يقال: حين تفكر العائلة بشراء سيارة جديدة تذهب العائلة كلها، ولكن لكل فرد أمر يريد تحقيقه والسؤال عنه..

الأب يسأل مثلاً: كم كيلو تسير في جالون واحد للبنزين، فهذا ما يهمه.

الأم والبنت تسأل عن لون الفراش المناسب للسيارة.

الولد يسأل: ما أقصى سرعة يمكن أن تبلغها السيارة ؟

في أمريكا هيئة أمم كل له اهتماماته ومتطلباته، والكل يطمع في تحقيق ما يريد، يسعى لذلك سراً وعلانية، حسب القانون ومن خلفه؛ لذا تتعدد المشاريع، كل له مشروعه، يتحقق منها الممكن ويلغى أو يؤجل الكثير؛ لذا لا تناقض ولا تضارب ولكن تعدد المشاريع، وللمتطلعين والطامعين بحق ودونه، وبمعقولية ودونها وبمشروعية ودونها.

لماذا التركيز على الإسلام وأهله

لا يجادل أحد بأنه ومنذ سنوات يجري التركيز على الإسلام وأهله، فمنذ نهاية الحرب الباردة طرح الإسلام وأهله كعدو، لا يقول أحد هذا بسب الهجوم على الأبراج، فالقضية قبل ذلك بكثير، وحرب العراق مثلاً وقبلها الحرب الأفغانية وضرب مصنع الأدوية في السودان، والموقف من قضية فلسطين وأهلها، كل ذلك

وغيره يبرر السؤال الذي يطرحه «إيمانويل تود» في كتابه القيّم «ما بعد الإمبراطورية».

يقول تود[1]: يكشف توزيع القوات الأمريكية في العالم البنية الحقيقية للإمبراطورية الأمريكيّة، أو لبقاياها.

إن القسم الأعظم من النشاط العسكري الأمريكي سيتركز منذ الآن فصاعداً على العالم الإسلامي، تحت راية «الحرب ضد الإرهاب» الشكل الرسمي الأخير لـ«العسكرية الصغيرة للمسرحية» وهناك ثلاثة عوامل تفسر تركيز أمريكا على محاربة هذه «الديانة» وتصويرها بمثابة «خطر استراتيجي» للفترة المقبلة، يهدد مصالحها وسياستها، ويعود كل عامل منها على حدة إلى تراجع في أحد الموارد الإمبريالية لأمريكا في المجال الإيديولوجي والاقتصادي والعسكري:

١- يقود التراجع في العمومية الإيديولوجية إلى ظهور عدم تسامح جديد فيما يتعلق بقضية وضع «المرأة» في العالم الإسلامي.

٢- يؤدي هبوط الفاعلية الاقتصادية إلى تركيز التفكير الاستراتيجي الأمريكي على النفط العربي.

٣- إن ضعف العالم الإسلامي الشديد، ونقصان القدرة العسكرية الأمريكية، يجعل العالم الإسلامي هدفاً سهلاً مفضلاً.

والسؤال: هل هذه العوامل كافية، ولا يوجد من يشاركنا فيها في العالم؟

ومع وجاهة هذه العوامل ألا يمكن أن نضيف لها إسرائيل وما تقوم به من تحريض وتحريش ليل نهار، وبمختلف الطرق المشروعة وغيرها، والظاهرة والخفية؟

(١) ما بعد الإمبراطورية طبعة ٢٠٠٣م ص (١٥٧).

إن إسرائيل كسبت أمريكا إلى صفها، ومن أجل استمرار هذا الانحيار الكلي فلا بد من تحريض وتحريش صادق وكاذب مستمر حتى يستمر الانحياز الأمريكي، وليؤثر بدوره على بقية دول العالم، لتلتزم الصمت عما تفعله إسرائيل يومياً من جرائم إبادة وقتل وتعذيب وبناء الجدار العنصري، والضرب بالقرارات الدولية عرض الحائط، كل هذا وغيره يجعل إسرائيل كمن يوقد ناراً تحت طعام كي يبقى ساخناً، وإن احترق أحياناً، وإذا استمرت السياسة الأمريكية بهذا الانحياز الكامل، فسوف تخرج من حفرة لتسقط في بئر، تخرج من حرب صغيرة لتدخل أكبر منها، ولن يكلف التحريض والتحريش إسرائيل شيئاً كثيراً.

أجهزة الإعلام الصهيونية تدور في كل العالم، ومراكز البحث تنتشر في الدول، وجماعات الضغط اليهوديّة في ازدياد، والخاسر الأكبر نحن والشعب الأمريكي، والرابح الأكبر إسرائيل ووكلاؤها في العالم.

والسؤال: متى ينتفض الشعب الأمريكي على هذه السياسة المصابة (بالحول) واختلاط الألوان؟ متى يقف ويقول: مصلحتنا أولى، وبلدنا أهم، ولن نكون خدماً ووكلاء لغيرنا.

أفنيرى وأسئلة كثيرة

الكاتب الإسرائيلي «أوري أفنيرى»[1] من جماعة السلام يطرح جملة أسئلة ويحاول أن يجيب عنها بوضوح وشجاعة، ويبدأ حديثه بأسطورة يونانية هي عبارة عن قميص مسمم اسمه «نيسوس» قميص للحب، لكنه يسمم البدن لمن يستعمله، يطبق الأسطورة على حرب ١٩٦٧م، فهو يراها هدية ولكن «مسممه» وكان علينا أن نبادر لإنشاء دولة فلسطينية، لكن العمى ضرب قيادتنا، فلبست قميص «نيسوس» المسمم.

---

(١) كيف تفقد الشعوب المناعة ضد الاستبداد، هاشم الحافظ وغيره، الطبعة الثانية عام ٢٠٠٢م، ص(٢٧٣).

ثم يطرح سؤالاً: من الذي ينسف مشاريع السلام في المنطقة، اللوبي اليهودي أم مصانع الأسلحة؟ هل الإدارة تريد استخدام إسرائيل كرهينة، من أجل المحافظة على دول النفط لتبقى تحت السيطرة الكاملة؟ أم الأمر خليط من هذا وذاك؟ أحسب أن لا أحد يعلم بمن فينا الأمريكان.

أما حرب الخليج فهي عبثية، فهل يريد (بوش) إزالة الطغاة؟ هل يريد حماية الدول الصغيرة من جيرانها الخبثاء؟ هل هو التنظيم العالمي الجديد؟ هل هي الحرب من أجل النفط؟ هل هو الخوف من أسلحة الدمار الشامل؟

لكنه يرفض ذلك ويفنده... ثم يقول: أمريكا تعتدي على الجيران، وتحافظ على الطغاة، حين تكون مصلحتها مع الطغاة، قرارات أمريكا لا يعطلها إلا «الفيتو» الأمريكي، النفط هل سيشربه العراق أم يبيعه؟

مفاعل «تموز» قد دمر، وفي دول الجوار من تملك الكيمياوي، والنووي -ربما يقصد إسرائيل- فهل تحتاج الدول المجاورة، من أجل حمايتها أن تشن حرباً عالمية، وهي تكفي فيها حامية صغيرة؟

إن أمريكا تتصرف بشكل يدعو للسخرية، وهذا ما فعلته قبلها كل القوى الكبرى في التاريخ.

سيقول ساخرون: هذه الحرب كانت هبة من السماء لتجار السلاح، بكل أنواعه لأن العديد من الأسلحة تخزن في ألمانيا مثلاً، فالأفضل إرسالها للشرق الأوسط لتجرب هناك، وقد صرنا نسمع عن قذائف اليورانيم «المنضب» المسبب للسرطان وفي الوقت نفسه تدفع دول مثل ألمانيا واليابان الثمن، وكذلك دول المنطقة... والسؤال: هل هذا ما دفع بوش -الأب- لقرار الحرب؟

إن عبثية الحرب تبدو واضحة للعيان حينما نتأمل أموالاً لا تحصى تنشر في الصحراء من أجل الإطاحة بطاغية صغير، لإنتاج فلم كابوي يمثل فيه بوش دور

«الشـــريف» وهـو يطارد «شـقياً»، إنها مبررات الحرب الخفية والعميقة، وإن أخشى ما تخشاه الإدارة الأمريكية هو بروز شخصية «كارزمية» - ذات بريق- تصل إلى حد توحيد الشرق، وإنهاء الاحتكار الأمريكي.

إنه ليس مصادفة أن تبدأ الحرب العالمية الرابعة، فيما لو افترضنا أن الحرب الباردة مثلت الحرب الثالثة، بين الشرق والغرب، أما الآن فقد بدأت الحرب بين الشمال والجنوب، بين الدول الصناعية والدول المنتجة للمواد الأولية... إن أمريكا تريد أن تعطي درســاً للعالم الثالث برمته مفاده: إن عليه أن لا ينهض على قدميه، وأن لا يفكر بالمقاومة أبداً... إن أروع معارك أمريكا هي مع السلاح المتطور، والذي يدمر خلال ساعات، ولا يعقل أن أمريكا تزود أحداً من الطغاة بأسلحة كي يتفوقوا بها عليها، وهذا السيناريو -على الأرجح- هو الأخطر من نوعه، وعلى إسرائيل أن تتصرف قبل أن يتهددها الخطر الأكبر، وذلك بالتفاهم مع العناصر الوطنية الفلسطينية، وتقديم السلام المشرف للجيران العرب، فبهذه الطريقة يمكننا أن نعطل مفهوم «التسمم» وأن نتفادى اندلاع البركان، ولكن هل نفعل ذلك حقاً؟ بكل أسف يبدو أن القضية ليست كذلك... بل يبدو أننا تلبسنا قميص «نيسوس» ولا فكاك منه... أهـ.

فهم جيد ووضوح لا غبار عليه، ولكن من يسمع وطبول الحرب تقرع، والتشجيع على القتل والموت هو الطعام اليومي... قيل يوماً لفرعون: من فرعنك؟

إن تفرعن إسرائيل يطبخ ويصنع في واشنطن، والويل لمن كفره النمرود!

لا يجوز التمييز ثم ماذا

جرى عام ١٩٦٥م التصديق على الميثاق العالمي ضد كل أشكال التمييز العنصري، وذلك حسب المادة (١) من الميثاق التي جاء فيها[١]: أي تمييز أو استبعاد

(١) الصحوة، ديفيد ديون، ترجمة د. إبراهيم الشهابي، دار الفكر، ص (٣٣٩) .

أو تقييد أو تفضيل على أساس العرق أو اللون أو السلالة أو الأصل القومي أو العرقي، بقصد إلغاء أو الحيلولة دون الاعتراف أو التكتم أو الممارسة على قدم المساواة لحقوق الإنسان والحريات الأساسية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنقابية أو مجالات الحياة العامة، فكل ذلك من التمييز العنصري... أهـ

النص واضح ولا غموض فيه، والسؤال هل يطبق في إسرائيل مثلاً، ولو بشكل جزئي، التشريعات في إسرائيل تفرق في كل شيء بين اليهودي وغير اليهودي، وأكثرها خروجاً قانون العودة، فهو يعطى كل يهودي في العالم الحق للهجرة إلى فلسطين، بمجرد دخولها فيكسب الجنسية، ولو لم يطلبها، وعليه أن يصرح برفضها، وإلا صار مواطناً إسرائيلياً.

أما الفلسطيني فيطرد من بلده ولا يستطيع العودة، وقد ينفى ولا يسمح له بالعودة، ولو غادرها لمدة قليلة يمنع من العودة وتتحفظ دولة إسرائيل على أملاكه... وما يدفعه العرب من ضرائب لا يطبق على اليهود.

د. إسرائيل شاحاك الأكاديمي المعروف، وصاحب كتاب (العنصرية ودولة إسرائيل) يقول: هناك مدن يمنع غير اليهودي من الإقامة فيها مثل (الكرمل والناصرة وهانزور وآرادورامين) وأمثالها... وكذلك كافة المستوطنات.

فإذا أضفنا لذلك مصادرة الأراضي العربية وطرد أهلها منها كما يحدث في النقب، ومنع أهلها من زراعة أرضهم فكل هذه الأعمال وأمثالها تنتهك هذا الميثاق انتهاكاً صريحاً، لكن لا أحد يتكلم؛ فالكل يخاف بمن فيهم «كوفي عنان» فمن يعلق الجرس؟ وهنا نعود لما يقال: إذا رضيت عليك أمريكا وإسرائيل فافعل ما تشاء، لا حساب ولا عقاب والفيتو الأمريكي في الخدمة!!

إسرائيل مشكلة أمريكية

يطرح الإسرائيليون شعاراً: (كل مشكلة إسرائيلية فلها حل في أمريكا) فإذا جرى عكس القضية فكل مشكلة لأمريكا قد تكون من صنع إسرائيلي. ليس هذا الإيحاء لي ولكن لرجل أمريكي شجاع لا يخاف هو «ديفيد ديوك» فهو يتحدث[1]: كيف تعامل إسرائيل أمريكا فتضرب مصالحها حين تعتقد أن مصلحة إسرائيل مختلفة، من ذلك ضرب القطعة الحربية الأمريكية «ليبرتي» عام ١٩٦٧م ثم يعلق قائلاً: لقد أدركت أن إسرائيل ليست مجرد قضية فلسطينية، بل هي مشكلة أمريكية.

وإسرائيل مشكلة ليس لأنها تمتص (٥٠) مليار دولار من خزينتنا، وليس لأن مئات البلايين من الدولارات تذهب على هيئة رفع لأسعار النفط لتغطية سياستنا الإسرائيلية، وليس لأنها أساءت إلى سمعتنا في العالم، بل أيضاً لأن سياستنا الإسرائيلية تعد عرضاً من أعراض «التسلط اليهودي» الواسع على حكومتنا وصحافتنا، وهو الأمر الذي يهدد الأسس الأمريكية نفسها... أهـ.

أمريكا تدفع قروشاً أو بضاعة لدولة ما، فتعاملها كما يعامل السيد عبيده؛ وإسرائيل -مثل جهنم- تقبض من أمريكا فلا تشبع، ومع ذلك تعامل أمريكا وكأنها مدينة لإسرائيل وعليها أن تدفع الأموال دون أن تبالى بما يلحق أمريكا من ضرر، وسوء سمعة، حتى بات مألوفاً عند التصويت في هيئة الأمم، أن كل دول العالم تقف في طرف وإسرائيل وأمريكا في الطرف الآخر... فالفيتو الأمريكي لم يعد يستعمل إلا لحماية إسرائيل من العقاب أو اللوم، ومع ذلك يتساءل الرئيس بوش لماذا يكرهوننا ونحن طيبون؟

لقد صارت «إسرائيل» عبئاً على أمريكا وسياستها وخزينتها وسمعتها، فمتى ينتفض الشعب الأمريكي، ويلقي بهذا الحمل الثقيل عن ظهره؟

---

(١) المرجع السابق، ص (٣٤٨).

بن غوريون يحلم أو يتنبأ

من المعروف عن بن غوريون أنه علماني ربما لم يصل في حياته ولا صام يوماً، لكن أحلامه عجيبة غريبة، فلم يحلم بانتصار العلمانية بل بسقوط الاتحاد السوفيتي، ويحلم باتحاد عالمي عمالي له قوة شرطة، بينما تلغى الجيوش كافة، وتتوقف الحروب، وأخيراً وليس آخراً أن تقوم هيئة الأمم «الحقيقية» وليست المزيفة فتعيد بناء «الهيكل» في القدس.

لنسجل ذلك للرجل، فقد كتب في ١٩٦٢/١٢/١٦م في مجلة[١] «ديوك» يتنبأ كيف سيكون العالم خلال «ربع قرن» وأول ما تنبأ به سقوط الاتحاد السوفيتي، سقط بالسكتة القلبية، ولكن ليس خلال ربع قرن بل أكثر.

ويختم بن غوريون قائلاً:... ستتوحد جميع القارات، ضمن تحالف عمالي، تكون تحت تصرفه قوة «شرطة» عالمية، وستلغى كل الجيوش ولن تكون هناك حروب، وستقيم الأمم المتحدة «الحقيقية» هيكلاً للأنبياء في القدس، لخدمة الأمة المتحدة من جميع القارات، وسيكون ذلك مقعد الحكمة العليا للإنسانية... أهـ.

كان هناك من يتهم اليهود بأنهم يعملون لقيام حكومة سرية تحكم العالم لمصلحتهم، والسؤال: أليست أحلام بن غوريون تصب في هذا «الاتهام»؟ وكيف تتحد القارات ضمن تحالف عمالي، ودوله في ازدياد، والصراع يتزايد يومياً على ما يستحق وما لا يستحق؟

وكيف تلغى الجيوش ويستعاض عنها بشرطة، والجيوش اليوم تحكم علناً أو سراً، وكيف ستختفي الحروب؟ وماذا ستفعل إسرائيل بجيشها وقواها النووية؟ ومن هي هيئة الأمم «الحقيقية» أهي الماسونية الدولية مثلاً؟ وهل سيسوق اليهود الأمم

---

(١) المرجع السابق، ص (٣١٦).

كي يعيدوا لهم بناء الهيكل في القدس؟ أليس هذا ما ادعته الماسونية وسطرته وحلفت على ذلك الأيمان، ومن أذاعه وأفشاه يستحق القتل؟

ولنسأل مجرد سؤال: ماذا سيحدث لو انتفض الشعب الأمريكي وثار على التحالف مع إسرائيل واعتبرها سبباً لعزلته، وسقط العالم في تحالف ضد إسرائيل ومشاريعها وأحلامها المبهمة المشبوهة، وعادت الشعوب المسيحية لتنظر لليهود كما كانت تنظر إليهم بالأمس؟

وأخيراً، من حق كل أحد أن يحلم، فالأحلام مباحة للجميع، ومن حق الجميع أن يدققوا في (بعض) الأحلام نظراً لخطورتها ومغزاها، وما تكشف عنه.

اللهم لا تجعل أحلام «بعضهم» كأحلام «القطط» التي تدور كلها حول الفئران!!

إلى أحلام هرتزل

هرتزل مؤسس الصهيونية والحالم بإنشاء دولة لليهود يحلم، كما يحلم تلميذه بن غوريون، وهو علماني مثله في عقله وقلبه، ولكنه وجد أن يستعمل بعض الأساطير الدينية لأنها يمكن أن تجمع اليهود، بينما الأحلام العلمانية تفرقهم راح هرتزل يجوب العالم يقابل الزعماء طالباً مساعدتهم، يحدث كلاً بلسان، ويضرب على أوتار المصلحة، لم يترك أحداً ممن يتصور نفعه إلا قابله، من السلطان العثماني عبدالحميد، إلى الامبراطور الإيطالي عمانوئيل الثالث، إلى البابا إلى غيرهم، رجل يحمل حلماً يريد تحقيقه، دون كلل ولا ملل.

وقد جرى حوار مع الإمبراطور الإيطالي على الصورة التالية:[1] الإمبراطور: سيحصل اليهود على فلسطين في النهاية، لكن لابد من الانتظار، حتى يصل عدد اليهود في فلسطين إلى نصف مليون يهودي.

(١) ثيوور هرتزل، مؤسس الحركة الصهيونية، ص (٣٧٩).

هرتزل: إن اليهود لا يسمح لهم بالذهاب إلى هناك.

الإمبراطور: كل شيء ممكن «بالبقشيش»، لكن أسألك: هل مازال اليهود ينتظرون المسيح؟

هرتزل: بالطبع، ولكن في الدوائر الدينية، أما في دوائرنا فهذه الفكرة غير موجودة، ثم يقترح هرتزل أن تجري الهجرة اليهودية إلى طرابلس -في شمال إفريقيا-.

الإمبراطور: هذا منزل لشخص آخر.

هرتزل: لكن تقسيم تركيا لابد قادم، ياصاحب الجلالة.

يتحول الحوار إلى «البابا»:

البابا: نحن لا يمكن أن نصدر موافقتنا على الحركة الصهيونية، ولا الهجرة إلى فلسطين، فاليهود لم يعترفوا بالسيد المسيح؛ لذا فنحن بالتالي لا يمكننا أن نعترف بالشعب اليهودي.... إن ثلث الديانة اليهودية هي تعاليم للسيد المسيح، ونحن لا يمكننا أن نعطيها مزيداً من الشرعية فكان على اليهود أن يكونوا أول من يعترف بالسيد المسيح، لكنهم لم يفعلوا ذلك حتى يومنا هذا.

لقد دُمر المعبد «الهيكل» في القدس إلى الأبد، فهل يجب علينا أن نعيد بناءه، وأن نؤدي الصلوات فيه على الطريقة القديمة؟

هرتزل: لا يجيب على التساؤل... أهـ.

حوار صريح، كل طرف يعلن قناعته والمدى الذي يمكن أن يذهب إليه.

والسؤال: ما الذي ذهب من هذه القناعات وما الذي تبقى؟

والسؤال الثاني: كيف اجتمع (٦٠٠) من رجال الدين في القاعة نفسها في (بال)، حيث أعلن هرتزل عن مشروعه للحركة الصهيونية والعمل على قيام الدولة، المجتمعون من (٢٧) دولة لم يذكروا المسيحية ولا السيد المسيح وعودته، وأعلنوا تشجيعهم لبقاء القدس إلى الأبد تحت السيطرة الإسرائيلية.

والسؤال: هل الجماعة رجال دين أم ساسة منافقون تحت رداء كهنوتي، أم رجال سياسة تحت قشرة دينية؟

وأخيراً: ما القول بما طرحه البابا على هرتزل؟

المستشار بريجنسكي يدق ناقوس الخطر

مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق (بريجنسكي) شخصية معروفة، له مؤلفات قيمة مثل: (الفوضى ورقعة الشطرنج الكبرى) وله كتابات في الصحف، والرجل غير متهم ولا نكرة، ولأفكاره قيمة... الرجل يغار على الغرب وحضارته[1]، وهو يعتقد أن ثمة أزمة طاحنة تضرب الغرب وحضارته، بحيث يمكن أن تصيبها بالعطب والموت، شأنها شأن حضارات سابقة، أصيبت بأمراض فمرضت وماتت.

المستشار يعتقد أن «الأزمة» أزمة الديمقراطية الغربية، فهي مهددة بخطر «كل شيء مباح» وبالذات داخل المجتمع الأمريكي، فالكل يسعى جاهداً لتحقيق ما يريد، دون اعتبار لمصالح المجتمع، ودون تمييز بين الخير والشر، وكل هذا مع غياب لوجود أي رادع ديني أو أخلاقي.

ولذا فهو يطالب الغرب بتعديل أسلوبه، وإلا انهار، كما انهارت حضارات سابقة، عندما أسقطت كل القيود، وانغمست في الخراب الروحي، والمتعة الجامحة، ودون

(١) مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٣٩، ص (٦).

حدود، وهو يرى هذا التحدي من داخل الثقافة الأمريكية، فهي تشيع الفوضى... أهـ.

وربما صرخ قارئ: يا أخي وأنت مالك؟

وأقول بلطف: ما يحدث في الغرب اليوم يصلنا غداً، فلدينا «ملاكيف» لا يعجبهم شيء إلا ما يحدث هناك وراء البحار، ولدينا «ناس» يعتقدون أن كل شيء غربي فهو «برنجي» الناس يعملون لنقل كل ما هناك لنا في اللباس والطعام والسياسة والاقتصاد، ومن هنا فالأمر يهمنا، ومن حلقت لحية جار له فليسكب الماء على لحيته؛ لأن الدور آت عليه لا محالة.

سغريد وحضارة الغرب

أنا مهتم بالحضارة، وقد قمت بتدريس مادة «فلسفة التاريخ أو تفسير التاريخ» في الجامعة لمدة زادت على عقد ونصف، ومن هنا فأنا أهتم بكل ما له صلة بالحضارة، ولسبب ربما أهم فكل ما يحدث في الغرب يصلنا، حلوه ومره، صحته ومرضه، ولا فائدة من التهرب من ذلك ولا جدوى.

(سغريد هونكه) المفكرة الألمانية وصاحبة كتاب «شمس الله تسطع على الغرب» وكتاب «من أفول الغرب إلى طلوع أوروبا: تغير العقلية وامتحانات المستقبل» نشرته دار «هور نسونته فرلاغ».

ترى (سغريد) أن حضارة الغرب صائرة وذاهبة إلى أفول[1]، لكنها على عكس ما يراه كل من نيتشه وشبينجلر، فإن أوروبا نفسها لن تزول، أما الزائل فهو «الخاصية الغربية» لأوروبا، وهي تعتقد أن الانهيار الشامل لكافة القيم في الغرب المسيحي شرط أساسي لكي تكتشف أوروبا هويتها الحقيقية، ولكي تحقق نهضة

(١) مجلة فكر وفن، العدد (٥٥)، السنة (٢٩).

الفكر الأوروبي وتنطلق؛ لذا لا تشارك «شبينجلر» بوجود قانون طبيعي قاهر، يسري على الحضارات كافة، بحيث ينقلها من نشوء إلى نمو إلى ازدهار فنضوج فسقوط (دورة الحضارة)[1].

كذلك لا تسلّم (سغريد) بما يقول به ابن خلدون، إنما ترجع ذلك إلى أسباب بنيوية نفسية ليس إلا.

لقد كونت سغريد لنفسها نظرية خاصة لتفسير التاريخ والحضارة، وكذلك تقدم الحضارة وتراجعها وهي تقوم على عوامل نفسيه وفكرية أصلية للشعوب، وعلى تغير هذه العوامل خلال العمليات التاريخية، وتتخذ من «النموذج النفسي» - والذي لا يحتاج إلى قوانين حتمية - هذا التفسير ينفع في الحالات المشابهة لحضارات أخرى.

ملخص النظرية: إن شعباً متى صُرف في زمن مبكر عن ثقافته وذهنيته ومعتقداته، عن دينه وقيمه وتصوراته، عن طريق الاحتلال أو التبشير، وتغلبت ثقافة أخرى على ثقافته، عندئذٍ يمر الشعب المغلوب بفترة تتغير فيها القيم تغيراً كاملاً، فيحدث خلل في التوازن، وتفسد الأخلاق فساداً كبيراً، ثم يحدث الانهيار، وعندها تسود مرحلة الانسجام، والتعود على الجديد، والتعامل معه تعاملاً إيجابياً، وتحدث نهضة ثقافية عقب ذلك قد توصل إلى مرحلة حضارية مزدهرة، ولكن الازدهار ما يلبث أن يتوقف، ثم يتحول إلى ركود، يعقبه تقهقر وانهيار.

هذه الدورة تحدث ليس بسبب «شيخوخة الحضارة» -كما يفسرها بعضهم- وإنما لأن عقلية الشعب تعارض البنى الفكرية، التي جاء بها السيد الغالب، فهي بنى فكرية غير مناسبة، تحدث مع الوقت «فراغاً» في النفوس فينبذها الناس في نهاية

(١) دورة الحضارة يؤمن بها ابن خلدون وشبينجلر وغيرهم كثير.

الأمر، ثم يفرز هذا الفراغ أزمة فكرية ونفسية خطيرة، لكن هذه الأزمة تكون ضرورية؛ لأنها تمهد لظهور أو بروز العقلية الأصلية من جديد، تلك العقلية التي كُبتت زمناً طويلاً وحُبست.

إن مهمة الأزمة أن تهيئ الظروف المواتية لنهضة ثقافية جديدة تقوم على قاعدة العقلية الأصلية وتسد الفراغ الفكري، وتطلق قوى فكرية طبقاً لطبيعتها الذاتية، وقوانينها الخاصة، وهي تحاول تطبيق نظريتها على الحضارة الغربية وقوانينها الخاصة، وأزمتها الفكرية والنفسية، فالتبشير المسيحي أخضع أوروبا إلى تناقض بين البنية الفكرية، إذ منذ عهد النهضة والإصلاح البروتستانتي، جرى نبذ العناصر «غير المناسبة» منذ عهد التنوير ولكن ثمة عناصر جديدة أخذت بالظهور، من خلال الأنقاض المتكدسة في أوروبا، التي تشملها الأزمة، بل أنهكتها دون أن تتمكن من القضاء عليها.

إن تفسير «سغريد» العناصر (غير المناسبة) بعد دراستها للتصورات الدينية القديمة، وما جاءت به المسيحية لتنتهي إلى أن هذه العناصر الغريبة (وغير المناسبة) كانت في مذهب «الثنوية» المسيحية، إذ تحوى على تناقض دائم لا يمكن تخطيه، فهو يفصل المفاهيم فصلاً غير قابل للتوفيق، فكل شيء خير أو شر، طاهر أو نجس، حق أو باطل، الله والإنسان، الدنيا والآخرة، الكنيسة والدولة، الديني والدنيوي، الأرض والسماء، الروح والجسد، الرجل والمرأة.

إن مذهب «الثنوية المسيحي» قد عاد على أوروبا بالويل في النهاية؛ لأن الشعوب الجرمانية -وسغريد منها- كانت تؤمن بوحدة الكون، وبوحدة المتناقضين، إيماناً عميقاً راسخاً... وقد قامت على مر العصور حركات قاومت مذهب الكنيسة «الثنوي» بعنف، لكن الكنيسة بقيت متمسكة بمذهبها رامية بالإلحاد والهرطقة كل من يخالف ذلك، بل كل من يعتنق ديناً آخر، وهذا أدى إلى أزمة فكرية، لدى كل من

لم يصدق بمذهب الكنسية... إن أوروبا أخذت بالتغلب على هذه «الثنوية» لكن أوروبا لم تستنفد كل وسعها في ذلك، وهي الآن مقبلة على مرحلة من تاريخها -قد طال انتظارها- والمؤمل أن تنطلق خلالها كل قواها الدينية وبكل حرية... أهـ.

تفسير جديد لحركة التاريخ يمكن تسميته بـ «التفسير النفسي» ليضاف إلى جملة من تفسيرات سابقة ولاحقة.

هناك من يرى حركة التاريخ تسير إلى الأمام، فحضارة اليوم أفضل من حضارة الأمس، وستكون حضارة الغد أفضل من الاثنين... وهناك من يعكس الأمر ليقول بأن ثمة نكوص وعودة للوراء ولعل «ألبرت شفيتز» اشهر معتنق للفكرة، وهناك فريق ثالث يعتقد بأن ثمة دورات للحضارة، بعضهم مثل ابن خلدون يعتقد بكونها مغلقة، بينما غيره يتصورها مفتوحة، ومن هؤلاء توينبي وفيكو وشبينجلر، وثمة فريق يرى أن الحضارة تسير وتتحرك ولكن ليس لها سنة ظاهرة أو شكل محدد، بل مدارات متعددة[1].

من العداء الشديد إلى الولاء الشديد

كان بعض من أبنائنا يصول ويجول، ويملأ الأرض صراخاً، وكل من لا يعجبه أو يشاركه الرأي فهو عميل لأمريكا ووكيل لها، وما إن انتهت العقود (الخامس والسادس) من القرن العشرين، حتى حصل انقلاب وقفز من أقصى اليسار ومن العداء المطلق لأمريكا إلى الولاء المطلق لها.

د. أدوارد سعيد - الفلسطيني الأصل الأمريكي الجنسية - والراصد الدقيق لما يحدث في الغرب وفي بلادنا مما له علاقة بالغرب كتب يقول[2]: هواة تبديل

(١) للكاتب بحث حول تفسير التاريخ درس هذه الأمور، طبعة ١٤٢٤هـ، ص (٤٣-٥٦).
(٢) صحيفة الشرق الأوسط، ١٩٩٣/٨/٣م.

«الولاء» بعد حرب الخليج الثانية، تعقدت الأمور بالنسبة لبعض المثقفين العرب وذلك بسبب البروز الجديد لأمريكا، كقوة خارجية رئيسة في الشرق الأوسط، فما كان عداء تلقائياً للأمريكان، دون تفكير، عداء (دوغماتياً) إلى أبعد الحدود، وأشبه شيء «بالكليشه» تحول إلى مولاة لأمريكا، وقد شهدت العديد من الصحف والمجلات في العالم العربي تحقيقاً لمستوى النقد لأمريكا، وأزيل تماماً في بعضها، واكتشفت قلة قليلة من المثقفين العرب فجأة دوراً جديداً في أوروبا وأمريكا، لقد كان هؤلاء ذات يوم مناضلين ماركسيين وتروتسكيين في الغالب، يناصرون الحركة الفلسطينية، وبعضهم أصبح إسلامياً، بعد الثورة الإسلامية.

ولما هربت «الأصنام» أو طردت خلد هؤلاء أولاً إلى الصمت، ثم أعقب ذلك «حسابات جديدة» هنا وهناك، فراحوا يتحدثون عن أصنام جديدة يخدمونها... هؤلاء يعلمون أن محاولة قول شيء، عبر وسائل الإعلام الأمريكية، ينطوي على نقد سياسة أمريكا أو إسرائيل أمر صعب للغاية، وبالمقابل فإن التفوه بأمور معادية للعرب كشعب وثقافة، أو معادية للإسلام كدين، أمر يسير جداً في هذه الوسائل وإلى درجة مضحكة... فهناك حرب ثقافية بين المتحدثين المعنيين ذاتياً باسم «الغرب» والمتحدثين باسم العالم الإسلامي والعربي، وفي وضع ملتهب كهذا فإن أصعب شيء يمكن فعله لإنسان مثقف هو أن يمارس النقد والاختبار... أما إذا راح المثقف العربي يدعم بصورة «مقلوبة» أو استخذائيه للسياسة الأمريكية، ومهاجمة من ينتقدها، إذا صادف هؤلاء النقاد عرباً، يلفقون الأدلة والبراهين للبرهنة على أنهم (أنذال) فإن كان النقاد أمريكان، فالمثقفون العرب يقومون بتدبيج القصص والمواقف التي تبرهن على «نفاقهم» ولتحوك حكايات زائفة عن العرب والمسلمين، لتشوه تراثهم، وتصيب تاريخهم، وتبرز مثالبهم، وتكشف مواطن ضعفهم، وكل من يفعل هذا فله دور جديد يلعبه، ويضمن نيل الأوسمة المنتظرة، وسرعان ما يوصف بأنه شجاع صريح... أهـ.

صراحة موجعة، تضرب بالعظم، فهل من شجاع ينفي هذا النفاق؟ فإلى الفرسان أمثال فؤاد العجمي وكنعان مكية وحازم صاغية هل من مفند؟ هل من يرد على هذه الصراحة الموجعة؟ أم في الأفواه ماء؟

الاغتيال بأوامر من مسؤولين

أصبح لا قيمة للإنسان، يُقتل ويُغتال ويُوضع في سجون سرية، يُعذب حتى يشتهي الموت فلا يحصل عليه.

كل هذا معلوم معروف فما الجديد؟ الجديد أن يأمر مسؤول باغتيال أفراد ثم تعترف الجهات صاحبة العلاقة بأن الاغتيال كان خطأ، أو يعلن وزير أو رئيس وزراء أنه أمر بالقتل والاغتيال وأنه هنأ القتلة، وربما منحهم أوسمة، فهل هذه غابة أم حظيرة خنازير أم حضارة متقدمة؟

كنت أستمع لمحطة B.B.C البريطانية ظهر الثلاثاء ١٤١٤/٦/١٠هـ فسمعت حديثاً يتكلم فيه مسؤول إسرائيلي من المخابرات اسمه «أهارون» يقول إن رئيسة الوزراء «جولدا مائير» وافقت على اغتيال مجموعة من قيادي «فتح» ما بين (٢٠-٢٥) فرداً.

وقد أجرت الإذاعة مقابلة مع «أهارون» حول الموضوع فقال: قتلوا ابن (زعيتر ومحمود الهمشري)، لكن تبين من التحقيق أن لا صلة لهم بالعنف، ولا قتل الرياضيين في ألمانيا، كما أن الاغتيال لم يفرق بين مدني وعسكري.

وحين استشهد الشيخ (أحمد الياسين)، وهو الرجل المقعد، الخارج لتوه من صلاة الصبح، والذي أمر السفاح المجرم «شارون» بقتله وقد سارع لتهنئة القتلة ومصافحتهم... أما برقيات النفاق فكلها تطالب بضبط النفس.

وذات يوم كان د. أدوارد سعيد مع عائلته في جنوب لبنان، وصادف أن حمل حجراً صغيراً ورماه، فاعتبر عمله إرهابياً، واحتج الكثير في أمريكا وأوروبا، وألغيت محاضرات كان سيلقيها بسبب هذا العمل الإرهابي الكبير!!

نحن وحقل التجارب

منذ استلمنا الحكم من العثمانيين صارت بلادنا حقل تجارب، فلم يبق نظام لم نطبقه، من أقصى الشرق لأقصى الغرب، فما النتيجة؟

السفير السابق «حسين أحمد أمين» نشأ متديناً فتحول إلى ماركسي، وذهب إلى إنكلترا ليعمل في إذاعتها خلال الحرب العالمية الثانية، وبعدها التحق بالسلك الدبلماسي، وصار جندياً من جنود «بني علمان»، وبعد تقاعده راح يكتب في الصحف، ونشر في صحيفة الحياة مقالاً يتحدث فيه عما قمنا به من تجارب من كل لون فكان مما قال[1]: جربنا اللبرالية والحكم العسكري، الديمقراطية والفاشية، تعدد الأحزاب والحزب الواحد القائد، الرأسمالية والاشتراكية، الانفتاح الاقتصادي والانغلاق، السير في ركاب الغرب وركاب الشرق، القومية والوحدة العربية والانتماء الإفريقي، مساندة الأنظمة التقدمية ومؤازرة الأنظمة الرجعية..

نادينا بالشعارات كافة، وتلونت أجهزة إعلامنا بألف لون، تغنينا بمدح حكام ثم بهجائهم، أقمنا لهم تماثيل ثم حطمناها بعد وفاتهم، سمينا شوارع وميادين بأسمائهم ثم غيرناها، حاربنا إسرائيل ثم صالحناها، هللنا لثورات وانقلابات، ثم انقلبنا عليها ولعناها، أقمنا الاتحادات ثم ألغيناها، قاومنا النفوذ الأمريكي ثم استسلمنا له، سخرنا من الدول النفطية ثم رحنا نتلقى المساعدات منها، عاديناها ثم صادقناها وتملقنا لها.

(١) صحيفة الحياة، ٢٠٠٤/٤/٨م.

وبعد كل هذا فما الذي بقي أمامنا مما لم نجربه بعد؟ غير الحل الإسلامي حل جدير بأن تتاح لتطبيقه فرصة، شريعة إلهية مستقاة من كتاب الله وسنة رسوله، رآها الأصوليون بدءاً بجماعة الإخوان كفيلة بتوفير الحلول الحاسمة للمشكلات كافة، من الاغتصاب إلى الديون الخارجية... أهـ

نعم، بكل تداوينا والمرض مقيم لا يفارقنا، فهل نجرب الحل الإسلامي، أو هل يُسمح لنا أن نجرب هذا الحل، كما يجرب جيران لنا ما يريدونه، أم هذا من المحرمات علينا، الحلال على جيراننا؟

لقد دخلنا التاريخ نحمل الإسلام وننشره في العالم، ثم تعبنا من الحمل أو صار أثقل مما نتحمل، واليوم يريد أكثر من بلد هذا الحل، فلنجرب، إن نجح كان خيراً وإن فشل استرحنا، أنا أعلم جيداً أن بعض أبنائنا مستعد لتجربة أي نظام مهما كان إلا الإسلام، لكن هؤلاء قلة قليلة معزولة لم تنجح في عمل وإن ملأت الدنيا صراخاً، لطماً للخدود وشقاً للجيوب، فإما أن (يحكموا) وإلا حصل الخراب للعالم، وضاعت الحرية وسقطت الديمقراطية، وفقد الإنسان والحيوان والنبات والجماد حقوقهم...!!

ياهو، لم تنجحوا في الانتخاب في بلد، حتى البلاد التي تحكمها أمكم أمريكا فما هو مستقبلكم، وما هو مصيركم؟ وما هي أحلامكم؟

لماذا يفقد الغرب الثقة

الأمم قديمها وحديثها لها قيم وثوابت تتمسك بها، ويحدث أحياناً أن تفقد الثقة بهذه القيم والثوابت، ولا يكون ذلك بقرار سياسي، ولا يحصل خلال يوم وليلة.

د. «كيفري لانغ» المسلم الأمريكي يدرس هذه الظاهرة فيقول[1]: أعتقد أن الغرب الحديث قد مر بتجربة كبرى من ضياع الثقة بالحكومة والقيم التقليدية والتربوية والعلاقات الإنسانية، وكذلك الكتب السماوية، ومثلها الدين والله، كل ذلك قد اضمحل وتلاشى، بسبب الصراع من أجل التقدم المادي، وقد خلف هذا الضياع فراغاً كبيراً، وأنجب أفراداً لا يعترفون بأي نظام فكري، هكذا أصبحوا فضوليين ومستعدين لأي وجهة نظر بديلة.... أهـ.

والسؤال: لماذا، وقد يكون فيما قالته د. سغريد جواباً.

الخوف من الإسلام والشك بالمقدسات

د. (فرانك فريدي) عالم اجتماع بريطاني شجاع يسمي الأشياء بأسمائها، حاورته مجلة «إيمباكت الدولية» حواراً طويلاً صريحاً، أنقله على طوله[2]:

س: تردد وسائل الإعلام والمسؤولون في الغرب أن مجتمعاتنا تتعرض حاليا لمؤثرات خطيرة وغير عادية، ابتداء بالأمراض الوبائية، وانتهاء بطوفان الهاربين من دول العالم الثالث، كيف تفسر هذه الظاهرة، وكيف تلخص مضمونها؟

ج: البشرية منذ القدم تميزت بالشعور بالخوف من الأخطار كافة، وقد يبالغون في ذلك حتى ليتصوروا ما ليس بخطر أنه خطر... **أما الجديد في هذا الأمر فإنه لم يعد هناك شيء يمكن الثقة به، أو الإيمان به، فالغرب يشك في كل شيء، ويرتاب في كل شخص، ونتيجة لهذه الأوضاع النفسية فإن الرعب أو الفزع الذي ينتابهم يتصف «بالرؤيويه»** التي تجعل مجالاً شيقاً وممتعاً جديراً بالدراسة والتحليل.

---

(١) حتى الملائكة تسأل، ترجمة: د. منذر العبسي، دار الفكر ٢٠٠١م، ص (٢٠٤).

(٢) مجلة الوعي الإسلامي، ترجمة: منصور أبو العينين، محرم ١٤١٩هـ، العدد (٣٨٩).

س: هل توافقون بأن أحد أشكال هذه الهستريا أو الهلع في الغرب سببه الخوف الشديد من الإسلام باعتباره العدو الذي يتخفى بينهم، وقولهم إن عشرة ملايين مسلم يعيشون بيننا متوارين هنا أو هناك صاروا يمثلون مصدر خوف وقلق في رأيكم؟

ج: هذا صحيح تماماً، لقد أصبح الإسلام يمثل بالدرجة الأولى وبصورة مبالغة ومغالية، أصبح يمثل تهديداً لأسلوب ونمط الحياة الغربية، لقد حل محل شبح الحرب الباردة -فيما مضى- لكنني شخصياً أرى أن ذلك خطأ في نظراتنا للإسلام كرمز جديد للتهديدات الخارجية للغرب، فالهستريا الغربية تتطلب منا أن نحاول تفسيرها، وبيان أسبابها الحقيقية... لقد بدأت المخاوف منذ سنوات مضت، عندما قرأنا في الصحف أن بعض الغربيين قد صاروا مسلمين، وقد أذيعت حكايات عن قيام قادة للفكر، وبعض النخب في الغرب باعتناق الإسلام، **وعند التدقيق نجد الأعداد قليلة جداً، وفي الحال يتساءل الإنسان: كيف يمكن أن يسبب اعتناق عدد قليل للإسلام هذا الاهتمام والقلق لدى الناس هنا؟**

أنا أعتقد أن هذه المخاوف تكشف عن ديناميكية مهمة، **فالغرب يعجز عن الثقة بنفسه، والإيمان بمؤسساته مثل سلطة القانون والقضاء والأسرة والديانة**، ثم ينظر إلى مجتمع الجاليات الأخرى -والتي لا يعدها جزءاً منه- فيراهم لا يزالون يعتقدون في أشياء كان الغرب يؤمن بها في الماضي، لا يصدق الغربيون عيونهم **عندما يشاهدون المساجد تزدحم بالمصلين أيام الجمع بينما لا يكاد يملأ كنيسة واحدة، من يصلون يوم الأحد.**

إن كثيراً من الناس ينظر لهذا الموقف **من الإسلام على أنه نوع من الكراهية له، أو العنصرية ضده، لكنه رد فعل شديد يشبه الهلع من الإسلام، بسبب ما يتصف به هذا الدين من التماسك والاستقامة والثبات، مما يفتقر له الغربيون..** كذلك يوجد

تناقض وازدواجية إزاء الإسلام، سببه ليس التحامل والتحيز فقط، وإنما «الحسد» والغيرة من أشياء لدى المسلمين، لم يعد لها وجود في الغرب مثل: الإيمان الراسخ بمعتقداتهم وإيديولوجيتهم... لقد أصبح الأمر وكأن لسان حال الغربيين يقول: انظروا إليهم، إنهم لا يزالون يتمسكون بعقيدتهم وتقاليدهم المميزة، التي يجتمعون حولها، فلماذا لا نقلدهم نحن؟

إن الخوف من الإسلام يرتبط بفقدان الثقة بالنفس لدى الغربيين بأنفسهم.

س: ما الدور الذي على الدولة أن تلعبه في الغرب إزاء ذلك؟ أين يقع دور الدولة في الغرب من عملية الاحتواء للتهديد الإسلامي؟

ج: الدولة في الغرب تتبع سياسة غامضة في علاقتها بالإسلام، فمن ناحية، تقوم بدور عنصري في السيطرة على المسلمين، تتخذ عدة أشكال مثل: إبعادهم من أوروبا، علاوة على ذلك فهناك محاولات للتفريق بين ما هو صحيح وخاطئ، الغث والسمين، والهدف تحديد صاحب المعتقدات، وجعله موضع الشك. من هنا نجد أن وصف «متطرف» ينطبق دوماً على الإسلام وأهله، وهو أسلوب خاطئ جداً.

وبفعل هذا التصور فإنك كمسلم تتميز بمعتقدات عميقة الجذور فلابد أن تعتبر عدواً جديداً.

والخلاصة: إن الدولة في الغرب تفترض في الذين يعيشون في الغرب أنهم لا يعتقدون في أي شيء وبشكل مبالغ فيه، وتحاول دول الغرب أن تدفع الناس بشكل غير مباشر نحو عدم المبالاة إزاء أي معتقدات، ويترتب على ذلك اعتبار من يُهتم في معتقداته بأنه يشكل تهديداً للحياة الطبيعية في المجتمع الغربي، ومثل هذا يصير مستهدفاً من الدولة التي يعيش فيها، نتيجة لمعتقداته -وهذا مثال للإمبرالية

الزائفة التي تنتجها الحكومات والجماعات الغربية حالياً- وهي تستهدف الناس وتلاحقهم طبقاً لمعتقداتهم، وهذا يلقي الضوء على العلاقة بين الإسلام والمسلمين من جهة وبين نظم الحكم الغربية من جهة ثانية.

س: الغرب مهد ويمهد لصنع قلق أو جنون الارتياب في كل شيء، وهذه النزعة من الشك، مع الاعتماد المتزايد على الدولة للتدخل استهدف المسلمين على وجه الخصوص، وتسهم الحملات الإعلامية بذلك، وتقوم الحكومات بتحصين نفسها بالأسلحة والتشريعات الجديدة، للتعامل مع المسلمين، داخل الغرب وخارجه، بهدف تهيئة الخوف للمواطن الغربي، فإذا استمرت هذه السياسة، دون مواجهة، فماذا تتصورون مستقبلاً العلاقات بين العالم الغربي والعالم العربي مثلاً؟

ج: سيكون لهذا الموضوع أبعاده الداخلية والخارجية؛ لأن معظم ما يتم مناقشته في بريطانيا مثلاً، يتم تدويله ونقله للغرب ولإفريقيا وآسيا وغيرها، فهناك مثلاً ما يسمى إنقاذ الأطفال الأفارقة من إساءة معاملة مزعومة من أوليائهم، ومثل ما يثار عن الحاجة لإنقاذ المرأة المسلمة من براثن الرجل المسلم، طبقاً لادعاءات ومزاعم مماثلة.

إن الذي يقلق الغرب قد تحول إلى قضايا عالمية لدرجة أنها أصبحت وسيلة لغرض نوع معين من الضغط والنفوذ على المستوى العالمي، إنه نوع من النفوذ الذي لا يبدو غريباً؛ لأنه لا يحمل بطاقة زيارة غريبة. بل على العكس، فهو يتخفى في زي دولي، أو غير حكومي، وإن كان الواقع يؤكد أنه سيصبح توجهاً عالمياً...، وهنا سيصبح - غير الغرب - أكثر قلقاً وأشد اهتماماً بهذه الأمور التي تقلق الغرب الآن.

س: المنظمات الغربية من أهلية وحكومية تمارس أنشطة تحوطها الشكوك، ووفودهم

تتردد على البلاد الإسلامية كالسودان ومصر، وهناك شبه إجماع دولي على أن الإسلام هو المستهدف، فما رأيكم[1]؟

ج: نعم؛ ما تحدثنا فيه ينطبق على هذا التفكير، وما يتعلق به، وإن الخوف أو الهلع من الإسلام عملة رائجة في الغرب عالمياً، كما نجد صدى ذلك في العالم، ليصبح الفزع عالمياً، ـ كما أسلفنا ـ وأنا أعتقد أن هذه المخاوف من الإسلام ستنتشر في العالم لا محالة، حتى المناطق التي يندر فيها وجود مسلمين، والنتيجة الحتمية لذلك ستكون اتخاذ مزيد من الإجراءات القهرية والقمعية للتعامل مع ما يسمونه بالطاعون أو الوباء الجديد للإسلام ـ كما يتصوره الغربيون ـ وسيكون لذلك مداه في كل العالم... أما الحكومات الغربية فسوف تستعرض عضلاتها، لمحاولة ضغط لإجبار الدول الأخرى على اتخاذ إجراءات مشابهة لمواجهة «الوباء» ولن يمر وقت طويل قبل أن نرى المزيد والمزيد من الحكومات الإسلامية وقد تم إجبارها على القيام بدور «الشرطي» في مطاردة الإسلاميين، بحجة حفظ السلام والأمن، وللتأكد أن «العدو المسلم» ـ الذي يعيش في خيالهم ـ قد تم صده وكبح جماحه، أما المنظمات غير الحكومية الغربية، فليس حالها أفضل، فقد شاركت بنصيب وافر في صنع صورة «الإسلام» الذي يبدو من خلالها وكأنه شر جديد، يهدد العالم قاطبة..

ولقد صورت المنظمات النسائية الغربية الرجل المسلم كأسوأ رجل في الكون.. أما من يهتم بالسكان فهو يصور الإسلام كمسؤول عن عدم «تحديد النسل» والسلسلة تطول... أما الجماعات اللبرالية فتشكل القاسم المشترك بين الجماعات والحكومات الغربية، وكل هذا تقوم به النخب الغربية، وقادة الفكر الذين يمتدحون عادة بأنهم لبيراليون متمردون يتمتعون بعقول متفتحة.

(١) هذا الحوار يعود لعام ١٩٩٨ أي عمره (٨) سنوات.

إنني أعتقد أنه إذا ترك هذا الوضع دون مواجهة ومعالجة، فعما قريب سيصنف (الإسلام) في النهاية بأنه ليس مجرد عدو إيديولوجي للغرب فقط، بل كمصدر لإثارة الخوف، وعدم الاستقرار، يهدد كل من يعيش على وجه الأرض.. أهـ.

رؤية صريحة واضحة، ووصول إلى جذور القضية، وتسمية واضحة لأطراف «التآمر» من الحكومات الغربية إلى الحكومات المطلوب نصبها «شرطياً» إلى الجماعات الأهلية، وأخيراً إلى أبطال اللبرالية أصحاب العقول المتفتحة أو المتفتقة... والسؤال لبعض أبنائنا من عشاق الغرب هل يقرؤون، وإذا قرؤوا هل يفهمون، وإذا فهموا هل يتغيرون أو يغيرون؟

أم طبع الله على العقول والقلوب فلا ترى ولا تسمع؟

الرجل ومنذ ثماني سنوات يحذر، فهل من مجيب؟

لماذا يحتقر اليهود غيرهم: محاولة فهم

يعتقد اليهود أن العالم ينقسم قسمة ثنائية إلى يهود وأغيار، وأن الله اختار الشعب اليهودي وفضله على الأغيار في كل شيء وأسماهم «شعب الله المختار»، وخلق الأغيار من أجلهم. وهذا المعنى يتكرر كثيراً في التوراة وأكثر منه في التلمود، مما جعل اليهودي يترفع على الآخرين لا يريد مخالطتهم ولا أكل طعامهم، ولا ذبيحتهم، ولا الزواج منهم... إلخ.

«آحاد هعام» الكاتب الروسي وهذا اسمه المستعار، واسمه الحقيقي «أسرهنزبرغ» الذي هاجر إلى فلسطين ثم اختلف مع الصهاينة ليتحول إلى أمريكا كتب يقول[1]: من الطبيعي أن يسلّم بحقيقه وجود درجات كثيرة في سلم الخليقة،

(١) الصهيونية حركة عنصرية، مؤتمر طرابلس، ص (٣٦).

مروراً بظهور الكائن غير العضوي فالنباتات، والمخلوقات القادرة على النطق، يتقدمها جميعاً الجنس اليهودي... أهـ

الكاتب يهرب من المساواة بين البشر، ليحيلنا إلى الاختلاف بين المخلوقات، وهذا لا خلاف فيه ولا حوله، ولكن الخلاف في البشر وبنيهم، أهم متساوون بحسب الخليقة أي أبوهم آدم وأمهم حواء أم مختلفون؟

الديانات السماوية كلها تسلِّم بأن أصل البشر واحد؛ ولذا لا خلاف بحسب الأصل. وأخيراً: ما الدليل على أن اليهود يتقدمون المخلوقات الناطقة كافة؟!

يقول «نوردو»[1]: إن اليهودي يملك من الجرأة والكفاءة أكثر مما يمتلكه الأوربي العادي المتوسط، ناهيك بالآسيويين والإفريقيين... أهـ

ولو تساءل أحد ما الدليل على ذلك؟؟ وهل يشمل الشعبين الياباني والصيني مثلاً؟ «هشام جعيط» يتحدث عن نزعة العداء لليهود ضد الإسلام والسيد المسيح فيقول[2]: من الواضح أن أصل العداء اليهودي للدعوة المحمدية في المدينة، كان شعوراً بالازدراء، يغذيه إحساس بالتفوق الديني تجاه كل ما يمكن أن يظهر كتلفيق للتقليد التوراتي، إلا أن هذا التفوق يستند أيضاً إلى إرشاد كتابي عتيق، وعلى غرور قومي ثقافي..

إن ما رفضه اليهود من دعوة «يسوع» ذلك الشخص المتطور داخل اليهودية، كذلك يفعلونه مع «محمد» ذلك العنصر الخارجي الغريب... أهـ

لكن كاتباً صهيونياً هو «يوسف حييم بريبر» يرفض هذا الاستعلاء على البشرية كلها ويتساءل عن السر فيقول[3]: من أين أتى هذا الاحتقار من جانب اليهود للأغيار... والشعور بالسمو عليهم؟.

---

(١) الصهيونية حركة عنصرية، مؤتمر طرابلس، ص (٣٨).

(٢) أوربا والإسلام، طبعة ٢٠٠١م، ص (١٠).

(٣) الشخصية اليهودية، د. رشاد الشامي، الطبعة الأولى، ص (٣٢).

هل كان اليهودي عديم الشعور حقاً، وميتاً إلى درجة لم يشعر معها أن حياة «الأغيار» أكثر غنى، وأكثر جمالاً من حياته؟ كلا؛ إن هذا مستحيل ولا نستطيع أن نصدق هذا، فإذا كان هناك احتقار للأغيار فلم يكن ذلك سوى «حسد طبيعي» يشعر به الفقراء تجاه الأغنياء، والرهبان تجاه الفرسان، والعاجز تجاه القادر، إن هذا «الاحتقار» لم يكن سوى استسلام لنصيبنا في الدنيا، وأحياناً نوع من العزاء لآمالنا في العالم الآخر، يتلوه صرير أسنان، وغضب داخلي، عن وعي أو من غير وعي... أهـ

هل يكفي أن نعلل التعالي بأنه مجرد حسد؟

الذي لمسته من قراءة التوراة والتلمود أنهما المسؤولان عن نزعة الاستعلاء، والنظر للجنس البشري كله ـ ما عدا اليهود ـ نظرة احتقار واستخفاف، وكونهم بمستوى الحيوانات، وروحهم كذلك بعكس روح اليهودي التي هي من روح الله[1].

وكون البشر ـ غير اليهود ـ مخلوقات شيطانية مثل: الحمير والكلاب، حتى إن المرأة اليهودية إذا تطهرت ـ من العادة الشهرية ـ فعليها أن لا تقابل مخلوقات شيطانية مثل: الحمير والكلاب والأغيار... فإن قابلت أحداً منهم فسد طهرها وعليها أن تعيده مجدداً...

إن نصوصاً مثل هذه تجعل اليهودي يتعالى على غيره، وينظر له كمخلوق حقير، ودونه بكثير، ويكون رد الفعل، لا سامية... واحتقار باحتقار !!

(١) للكاتب بحث بعنوان مطابخ الكره والعنصرية لاحظ الصفحات (٤١ - ٥٩)، الطبعة الأولى.

لماذا لا يفهمنا الغرب

الإنسان في الغرب لا يتعصب ولا يتشنج إلا ضد الإسلام وأهله فلماذا؟

هل القضية بسبب موروث تاريخي أم تماس جغرافي أم بسبب التحريض المستمر، أم بسبب كل ذلك وغيره، وما دور الإستشراق هنا؟

«هشام جعيط» المتتلمذ على الغرب، والحامل للكثير من مثله وقيمه وأفكاره يتحدث عن مقارنات «تشنجية» بين رسولنا والسيد المسيح عليهما السلام، وقبل الدخول في المقارنة الاستشراقية أذكر حادثة ذات دلاله، قبل سقوط بغداد، وقف خطيب في جامع يتحدث عن المسيحية في بعض ما جاءت به، فذهب رجال نصارى وشكوه للسلطة البعثية، فكأنها عثرت على أسلحة «دمار شامل»، واعتقل الإمام وقامت الدنيا واتهم بأنه يفرق الصف الوطني... إلخ.

وكان له شيخ عاقل ذهب إلى مسؤول كبير ليحاوره فكان مما قاله الشيخ: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن عيسى نبي الله وكلمته، فهل يشهد النصارى مثل هذه الشهادة، أم يرفضون الاعتراف بنبينا عليه السلام، قال المسؤول الكبير ما رأيكم، وكان صمتاً أبلغ من كلام، وانجلى الموقف.

المستشرق «مدع عام» لديه قناعات «مسبقة» يريد إثباتها، وكل عمله «مرافعة» لإثبات ما يريد، ليست الدراسة والبحث قادته، ولكنه يريد من الدراسة والبحث أن يؤيدا ويبرهنا قناعاته، فإن قصرت وعجزت فله طرقه الخاصه في التعامل مع النص والدليل.

«هشام جعيط» يجري بحثاً حول مقارنات «الاستشراق» فيقول[1]: إن المستشرق يؤكد على نموذجية مصير أوروبا، وهكذا يحصر الإسلام في عملية «مواجهة

(١) أوروبا والاسلام، ص (٤٠).

حضارية» مع الغرب، ويسير تاريخ الإسلام ليس وفق ديناميكيته الخاصة، بل كانعكاس شاحب ومعكوس لتاريخ الغرب، لنأخذ مثلاً على ذلك شخصية «محمد»، نلاحظ أنه ضمن كل تحليل لهذه الشخصية تنساب عملية مقارنة مع المسيح، فإذا كان «محمد» غير صادق، فذلك لأن المسيح كان صادقاً، وإذا كان محمد محارباً وسياسياً فإن يسوع كان مسالماً مغلوباً معذباً... أهـ.

لكن الصورة الجديدة للسيد المسيح، كما يرسمها المحافظون الجدد، جنرال يقود حرباً كونية يفنى فيها ثلث البشر، ويزج فيها أكثر من (٢٠٠) مليون حول القدس ـ كما تقدم ـ وتصل الدماء فيها إلى رؤوس الخيل، فأين صارت الصورة القديمة للسيد المسيح؟

اليهود الشك والشكوى

اليهود اليوم أكبر المدللين في العالم، كل ما يفعلونه لا يحاسبون عليه، وكل من يقول فيهم كلمة فالويل له، ومع ذلك فالشكوى والنوح والبكاء لا انقطاع لها، أما الشك فيشمل كل أحد غير يهودي، لكن لا أحد مطلقاً يعلل ذلك... بل هناك من يذهب إلى أن التحامل على اليهودي هو من (غرائز) الأغيار. جاء في الموسوعة الثقافية[1]: إن التحامل ضد اليهود هو نوع من المشاعر الغريزية والطبيعية، التي تظهر في أي وقت يحتك فيه رجال من سلالات مختلفة بعضهم بالبعض الآخر... أهـ.

والسؤال: هل اليهود سلالة أم دين، وهل يهود الفلاشفة والصين والهند وسريلانكه وألمانيا وروسيا من سلالة أم أتباع دين جمعهم؟ ولماذا ضد اليهود وليس ضد غيرهم؟

---

(١) الصهيونية والعنصرية، ٢٢/١.

«آلن تايلور» في بحثه «الصهيونية بين النظرية والتطبيق» يذهب إلى أن الصهيونية تنظر للمجتمعات الأخرى نظرة عداء فيقول[1]: تنظر الصهيونية دوماً لشعوب الأمم الأخرى كمجتمعات خارجية معادية على الدوام، ينبغي لليهود أن ينشئوا نظاماً متيناً لاتقاء شرها والدفاع عن أنفسهم منها، فالدولة اليهودية هي المفتاح لأمن اليهود... أهـ.

هذه النظرة المعادية ما سببها، ولماذا التهرب من هذا السؤال دائماً؟

عالم النفس الإسرائيلي «روبنشتاين»[2] يرى أن اليهود لديهم شكوك عميقة الجذور تجاه الآخرين، وهذه الشكوك تسود العلاقات الشخصية ولها صور:

١- شك موجه للغرب.

٢- شك موجه ضد غير اليهود.

٣- شك موجه ضد النظم والأجهزة الدولية.

والسؤال: ماذا بقي غير مشكوك فيه؟

إعجاب هيغل بالإسلام

هيغل أو هيجل (١٧٧٠-١٨٣١)م صاحب اتجاه نحو «وحدة الوجود» تأثر بكل من (كانت وفخته وشلينج)، وله تأثير كبير على الفكر الألماني، وصاحب نظرية «صراع المتناقضات»، فالتاريخ عنده عبارة عن صراع المتناقضات من كتبه (دروس في فلسفة التاريخ) ذكر فيه الإسلام في صفحات قليلة، لكنه تميز بالعمق، وترك التعصب، وهو يعتبر الإسلام ثورة الشرق التي[3] (حطمت كل خصوصية، وكل تبعية،

(١) المرجع السابق، ٧٥/١ .

(٢) الصهيونية والعنصرية، ١٠١/١.

(٣) أوروبا والإسلام، هشام جعيط، ص (٦٠) .

وهي ثورة تنير وتطهر الروح، جاعلة من الواحد الأحد شيئاً مطلقاً، ومن الوعي الذاتي الصافي ومن معرفة «الواحد الأحد»، النهاية الوحيدة الحقيقة).

لقد تحقق الإسلام مباشرة في التاريخ، وكقوة مضيئة، قد تجاوز سلبيات الفكر الشرقي التي تعبر عنها عبودية الفكر، كما تجاوز أيضاً خصوصية «الإله اليهودي» وكونه لبني إسرائيل خاصة، مستقيماً على أرض العمومية، منقياً ومحرراً الفكر، مع تقديس «الواحد» الذي هو الغاية الوحيدة... لكن هذا الواحد مجرد، مع أنه يمثل الروح حقاً، وليس ملموساً كالإله المسيحي، الذي جُسد كإنسان، ما هو إلهي.

كانت حماسة المسلمين قادرة على كل نوع من السمو، وهذا السمو المحرر من كل الحسابات الدنيئة، ممزوج بكل فضائل كبر النفس والبسالة، ويتحدث عن حب الواحد الأحد، الأكثر صفاء وتجريداً، والأكثر تسامياً، إنه عودة جدية إلى الله، حيث يعصف عنف الحياة، إنه «سلام» كما يوحي بذلك اسمه، وتلك هي نواته الصلبة...[1] أهـ.

قرأت هذه المقاطع وأمثالها على «زميل» فصمت قليلاً وقال: الله أكبر إن فهمه يفوق فهمنا، وصدقه أفضل من نفاقنا، فهل بدأ الغرب يفهم الإسلام جيداً على حين زهدنا فيه، وبحثنا لديهم عن غيره...؟

قرأت على الزميل قوله تعالى: ﴿**وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**...﴾ [محمد: ٣٨] ثم وقع نظري على وجهه فإذا الدموع تسيل على وجنتيه، لقد قال الشيخ «المراغي» شيخ الأزهر يوماً، وقد طالبته (بنت) له وكان راكباً «قطار الصعيد» فلما ألحت بطلب العبقريات للعقاد، وسألها عن السر فقالت: إن المرأة الخواجايا ـ وأشارت إليها ـ، ذكرتها لي، فقال الشيخ والألم يعصر قلبه: يبدو إننا سنسلم ولكن بعد إسلام «الخواجات»، قضية موجعة مؤلمة أن يفقد الإنسان

(١) المرجع السابق، ص (٥٤).

الثقة بنفسه وبما عنده، ويتعلق بكل ما هو آتٍ من وراء البحار، مهما كان، ولو تعلق بدينه ومعتقده وفكره.

لقد قالها يوماً د. طه حسين: نريد كل ما جاء من الغرب، حلوه ومره... وقال الشاعر التركي ضياء الدين ألب: نريد كل شيء في أوروبا حتى الجراثيم التي في البطون.!!

مرض فقدان «الذات» مرض فقدان الثقة، فهل من دواء لهذا المرض بعيداً عن التعصب والتشنج؟

يعجبني قول «نيتشه»: إن من يحتقر غيره فهو عنصري، ولكن من يحتقر نفسه وأمته فإنه ينتحر.

فهل صار الانتحار محبباً لنفوس بعض أبنائنا؟ وهل ما قاله الشيخ المراغي ـ قبل سنوات ـ صار مرضاً عند بعض أبنائنا حقيقة وقدراً؟

اليهودي اليوم يقف بشجاعة ليقول للعالم: نحن أمة فريدة تؤمن بالتوحيد ولها «فرادة»، لأن شريعتنا من الله، ولسنا كغيرنا من الأمم، بل نحن لسنا أمة سوية، ولن نخضع لقواعد العالم، فهل صار المسلم يفتقد مثل هذا الاعتزاز؟، ونحن دخلنا التاريخ نحمل الإسلام وحضارته، وفي غفلة من الزمن راح بعض أبنائنا يتبرأ منه ومن تاريخه وحضارته ولغته، ويدبج قصائد هجاء يومي يسوّد بها صحفه وصفحاته.

إنها الهزيمة والنكوص على الأعقاب، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿... **وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾[1] صدق الله العظيم.

(١) سورة محمد، الآية: (٣٨).

الخوف من اجتماع المظلومين

المظلومون في العالم يبلغون بلايين، فلو اجتمعوا لزلزلوا الأرض تحت أقدام الظلمة، فالظلمة يحذرون هذا الاجتماع والاتفاق.

السفير السابق «حسين أحمد أمين» الكاتب المصري المعروف يذكر أنه حضر ندوة في «ستراسبورج» لبحث سبل التعاون الأوروبي العربي، وقد أجرى حواراً صريحاً مع الكاتب السويسري «ارنولد تينجر» شمل قضايا كثيرة متعددة منها[1]:

س: ألم تتغير مصالح الغرب في المستعمرات السابقة، خلال نصف القرن العشرين؟

ج: لا شك في ذلك... لكن الخطر الوحيد الذي قد ينجم عن الوضع الجديد ـ من وجهة نظر الدول الصناعية ـ هو أن تتجه ملايين الشعوب، التي لم نخترها شركاء لنا، والتي تركناها وشأنها أن تتجه إلى التضامن ضدنا، ولكي نحول ضد هذا التضامن والتظاهر، فعلينا أن نتمسك دائماً بسياسة (فرق تسد)، وأن نصنع الأسباب والدواعي، التي تدفع بهم إلى التحارب فيما بينهم، في الوقت الذي ننشغل بتنسيق مصالحنا السياسية والصناعية، كذلك سيكون بمقدورنا أن نبعث دوماً (بقوات دولية) إلى تلك المناطق بدعوى الحفاظ على السلام والاستقرار، ثم نبقيها هناك للأبد، ففي منطقة مثل: كشمير بقيت القوات الدولية لأكثر من أربعين عاماً ـ وكذلك بلبنان ـ أفلحت خلالها ليس في حل النزاع، بل في تطويقه، ومثلها قبرص، وسنقنع الكافة بسهولة: بأن الذنب ليس ذنبنا، بل ذنب تلك الشعوب المتخلفة، التي تتحكم فيها العواطف وليس العقل.. والتي ستبقى إلى الأبد ـ على حسب تعبير جنرال إسرائيلي ـ كالصراصير السكارى داخل زجاجة مغلقة.

---

(٧٦) الموقف الحضاري ص (١٥٨).

وربما يكون من الأفضل أن ننشر هذه «الفكرة» من خلال الأفلام المصورة لهذه الصراعات والاشتباكات، ليراها الكافة، فيصدقوا أنهم هم المسؤولون الوحيدون عن وضعهم البائس... لقد نجحت الدول الصناعية في تكييف مشاعر وآراء الشعوب المتخلفة والمتقدمة على حد سواء، فقد باتت لدى الشعوب الغنية قناعة راسخة بتفوقها أولاً، وحقها في الهيمنة على مقدرات العالم ثانياً، وصار لدى الشعوب الفقيرة إيمان بتخلفها وبمشروعية وضعها الذليل في العالم.

أما الدول المتخلفة التي تملك المال مثل دول الخليج، والتي تملك النفط، فلا حاجة للإحساس بالنقص، إذ هي دول صديقة وتحت «الحماية»، فإذا حدث ما لا مفر منه أحياناً، وثارت بعض الدول الفقيرة على وضعها فهنا ستنشأ الحاجة إلى استخدامنا للقوة في قمع تمردها، ما لم تكن فيها حكومات قوية يمكننا الاعتماد عليها في استخدام الشرطة والجيش من أجل القضاء على القلائل.

وستعمل الصورة التي غرسناها عن حكمتنا وشعورنا بالمسؤولية، وعن نزقهم وافتقارهم إلى الشعوب بالمسؤولية، على تبرير هذه الإجراءات الحكيمة، وهذا التدخل المشروع من جانبنا حتى لو تصادف أن لاحظ بعضهم أن هذه الإجراءات وضد التدخل، تتفق اتفاقاً تاماً مع مصالحنا الخاصة.

س: ما دور الحكومات المحلية في ظل هذا الوضع؟

ج: للحكومات المحلية فوائدها في مثل هذه اللعبة، فكلما زادت خدماتها لنا ستزيد من استعدادنا للتغاضي عن حكمها الاستبدادي في بلادها، ذلك أن استخدام الحكام المستبدين بالسلطة كأدوات لتنفيذ مصالحنا هو أسهل علينا من استخدام الأنظمة الديموقراطية، وذلك بالنظر لشدة خوف المستبدين على حياتهم، ولشدة تعلقهم بمناصبهم، مما يضطرهم إلى طلب حمايتنا وهذا بالضبط سر إبقاء الولايات المتحدة «لصدام حسين» في حكم العراق بعد هزيمته الساحقة، فبالرغم

من تشبيهنا له «بهتلر» وما صببناه عليه من لعنات قد أصبح بعد «تأديبه» وتقليم أظافره، لقد صار أهلاً لأن يكون شريكاً لنا، وقد استفاد «صدام» مثل جاره الأذكى «حافظ الأسد» واقتنع بأنه من الأفضل الانضمام إلينا، وإلا أصبح غير مقبول... إننا سنظل دائماً نفضل الدول النفطية؛ لأنها أسهل إدارة من مثل إيران أو العراق أو مصر.... اهـ

هذا الكلام في مجمله صحيح وفي أبعاده، وقد يرفض الإنسان بعض التفاصيل هنا أو هناك، لكن الحديث بروحه يبدو سليماً، فالكبار يتلاعبون بالصغار، وبعض قوات الأمم المتحدة، أقامت السنوات الطوال كما في لبنان لكنها تعجز عن ردع إسرائيل مثلاً، والمطلوب من جديد نشرها في إفريقيا وآسيا وغيرها... أو زيادة عددها وعدتها كي تحقق الهدف من نشرها.

نخرج من حفرة لنسقط في بئر

في مسيرتنا لون من التخبط، نخرج من حفرة لنسقط في بئر، د. حسن حنفي الكاتب المصري المعروف، الذي وصف نفسه يوماً بيساري مسلم، يكتب في أكثر من حقل، ويكثر هنا وهناك، له كتاب عنوانه (مقدمة في علم الاستغراب) وقبل النقل عنه أود القول بأن منا من يرفض حضارة الغرب جملة وتفصيلاً، معتقداً أنه يمكن أن يعيش بعيداً عنها ـ طبعاً ليس بالمنتجات ولكن في الفكر والقيم ـ وهناك من أبنائنا من يعتقد بوجوب أخذ وتقبل ما جاءت به الحضارة الغربية، حلوها ومرها، وقد يتوسط صنف ثالث فيدعو لاقتباس المفيد، وترك ما لا يناسبنا، فالحكمة ضالة المؤمن.

د. حسن حنفي يقول في مقدمة علم الاستغراب[1]: لقد تحولت مساحة كبيرة من ثقافتنا المعاصرة إلى «وكالات حضارية للغير» وامتداد لمذاهب غربية: اشتراكية

(١) مقدمة.... ، طبعة ١٩٩١م، ص (٢٤).

ماركسية، ليبرالية، قومية، وجودية، وضعية، شخصانية، بنيوية، سريالية، تكعيبية... إلخ، حتى لم يعد أحد قادراً على أن يكون مفكراً أو عالماً أو فناناً إن لم يكن له مذهب ينتسب إليه.

وقد وضعنا أنفسنا أطرافاً في معارك لسنا طرفاً فيها، وتفرقنا شيعاً وأحزاباً، كما تفرق القدماء، لكن فرقتنا ـ هذه المرة ـ لم تكن موقفاً من الذات، بل تبعيه للآخر، ضاعت وحدة الثقافة الوطنية، والكل يبحث عن أصاله ضائعة، ليجد بعضهم في القنوات الشعبية... وعادة ما يتحول «التغريب الثقافي» إلى مولاة سياسية للغرب، مما يسبب ثورات الشعوب الوطنية، تأكيداً للهوية والثقافة الوطنية، في جدل مستمر، بين الأنا والآخر... أهـ.

من المعروف أن الثقافة تصنع «الولاء» وتمنحه طواعية؛ لذا فمن تبع ثقافة ما فلن يعادي أهلها... من يعتنق الديانة المسيحية في بلد إفريقي مثلاً يكون ولاؤه للغرب، ومن يعتنق الإسلام يشعر بكونه جزءاً من أمة الإسلام، يفرح لفرحها ويحزن لحزنها... في رحلة إلى جمهورية جنوب «إفريقيا» قبل سنوات وجدت المسلمين في انقسام ثقافي غريب، فمن تعلم في البلاد العربية يحب العرب، ويهتم بأحوالهم، يصوم إذا صاموا، ويفطر معهم متى أفطروا، مكتبته عربية حتى أسماء أولاده وبناته، ومن تعلم في الهند فهواه مع الهنود، يصوم إذا صاموا، ويفطر إذا أفطروا، إمامه في الصلاة من الهند، ومكتبته هندية، وعروسه آتية من قرى الهند، وهكذا صنعت الثقافة «الولاء» طواعيه دون طلب ولا جهد.

ومن هنا تأتي «خطورة الثقافة»، وسأذكر نموذجين لتوضيح القضية فقط:

الأول: حازم صاغية يهاجم بقسوة بالغة:

«مهاتير محمد» الزعيم الماليزي وقف يوماً ليقول: على المسلمين أن يستفيدوا من تجربة اليهود، ويحسنوا التعامل مع العالم، ثم هاجم ربط الإرهاب بالمسلمين

قائلاً: في كل العالم إرهاب لا يرتبط بالدين، إلا إذا كان الهدف المسلمين، وقال في مرة ثانية: اليهود يسيطرون على العالم، فلم يبق كلب من كلاب العالم الصغار أو الكبار إلا نبح عليه، ليسجل احتجاجه، وتعامى الكل عن فحوى ذلك، أليس في هذا العمل الدليل على صحة ما قاله الرجل؟

وقام صحفيون عرب في لبنان ومصر وهاجموا مهاتير، ليسجل لهم هذا «العمل العظيم»، حازم صاغية اليساري الثوري بالأمس القريب، نظم قصيدة هجاء لاذعة في مهاتير محمد فقال[1]: يستحسن الابتعاد عن السيد مهاتير محمد، وعن وعيه الذي يشيعه؛ لأنه خاطئ وسيئ ومضر ومتعصب ومتخلف وعديم الحساسية في وقت واحد، وعملية ـ ليس قول ـ مهاتير يمكن أن تسيء للعرب ما لم يبادر إلى التنصل منها أكثر من إساءة عملية غزة (يشير إلى قتل بعض من الأمريكان)...

ومرة أخرى يقول: لا يوجد ليبرالي يمكن أن يكون مناهضاً أمريكياً؛ لأن هذا ضد طبيعته، فأمريكا جوهرة الحرية، والمبادرة الإنسانية الخاصة، وهي تمثل التعددية الثقافية[2].

لقد وصف «صاغية» محمد مهاتير بخمس صفات قبيحة شنيعة، من بواعثها الولاء الجديد للغرب ولإسرائيل، ولولا هذا الولاء الجامح فإن ما قاله مهاتير لا يستحق صفة واحدة من الصفات التي ذكرها، وأذكر هنا بما يقوله علماؤنا بأن (الكلام صفة لمتكلمه) وأن القاعدة تقول (التابع تابع ولا يفرد بالحكم) وبالمناسبة «فصاغية» يكتب في الحياة وأنا مشترك، وأجد له هواية شتم المقاومة ونعتها بأقبح النعوت؛ لأن المقاومة تقف ضد إسرائيل أو ضد أمريكا، أو ضد الاثنين معاً، وهذه جريمة لا تغتفر!!

---

(١) صحيفة الحياة، في ٢٠٠٣/١٠/١٨م .

(٢) صحيفة الحياة، في ٢٠٠٣/٥/١٦م .

ثانياً: د. أحمد البغدادي وطائرة الديمقراطية:

الدكتور البغدادي الأكاديمي الكويتي، عاشق لأمريكا، وهو ينشر قصائد غزل فيها، ومع كل قصيدة يهبط «رصيده» حتى هبط دون الصفر بكثير، فدعته إسرائيل للهجرة إليها فلم يعرف ماذا يقول.... الدكتور يحلم بأن الرئيس بوش يقود طائرة (الديمقراطية)، ونظراً لوجود عقبات لم تقلع الطائرة.

كتب في صحيفة «السياسة» عن طائرة الديمقراطية، ولطول الحديث سألخصه بفقرات[1]:

١- يبدأ المقال بتعليق على ما قاله الملك الأردني، في الملتقى الاقتصادي، الذي عقد في الأردن في نيسان ٢٠٠٥م.

٢- يرى الدكتور أن (حماس والجهاد) تسعيان لتخريب خطة «خارطة الطريق» بينما هي تعاني منذ سنوات سكتة دماغية، وموت سريري، والشكوى لله!!

٣- الجماعات الإسلامية في الكويت، وبعض دول الخليج تسعى لتقويض الديمقراطية.

٤- يتساءل الدكتور - بألم شديد - كيف يتحرك إذن العرب نحو الإصلاح؟

٥- الفكر الديني (هكذا) يهيمن على الحياة السياسية والثقافية في البلاد العربية.

٦- يوجه الدكتور تساؤلاً للملك الأردني: هل تنكر انتهاكات حقوق الإنسان؟

٧- ويتساءل أيضاً: هل يغيب عنك ما تحمله قوانين المطبوعات والنشر «المجرمة» وهل ينكر سجناء الرأي؟

---

(١) صحيفة الحياة السياسية الكويتية، ١٤٢٦/٤/٢٢هـ .

٨- يعلق على قول الملك: «آن الأوان لركوب طائرة والإقلاع نحو المستقبل».

٩- يتصور الدكتور أن «الطائرة» دون أبواب ولا عجلات، وهيكها متصدع فكيف يمكن الإقلاع؟

١٠- العالم العربي يحتاج إلى طائرة جديدة، تتمثل في حكم الشعوب العربية لذاتها أولاً وثانياً...

١١- ثانياً حين يقلد العرب «إسرائيل» في اختيار الحاكم يصبح من الممكن الحديث عن الإقلاع. (والسؤال: لماذا إسرائيل بالذات؟).

١٢- يوجد «كابتن» اسمه بوش يعرض خدماته حول كيفية الاطلاع، ولكن لا أحد يستمع له، فكيف يحصل الإقلاع؟

١٣- إن حقوق الإنسان والإصلاحات كلها، ومشروع الشرق الأوسط الكبير، كلها مشروعات أمريكية، مئة بالمئة وإن أنكر ذلك القوميون والجماعات الدينية (مرحباً بهذه الإصلاحات!!).

١٤- لا يوجد شك في عدم حصول الإصلاح في العالم العربي، بسبب عدم وجود الرغبة الذاتية للعرب.

١٥- يضاف لذلك عدم وجود «القابلية للإصلاح» إذ تعاني الدول العربية من الفساد بكل ألوانه، ولفقد الأدوات الموضوعية اللازمة للتغيير.

١٦- فالكويت مثلاً، التي يعتبرها الكثير من «الأغبياء» واحة للديمقراطية، أنفقت الكثير من المال العام من أجل إقرار الحقوق السياسية للمرأة، كما خالفت الدستور باشتراط ضوابط شرعية.. ؟

١٧- الكويت الآن تقدم قانون المطبوعات «الجائر» وتفرضه على البرلمان.

١٨- إن وضع العرب يتردى يومياً بسبب هيمنة وزارات الأوقاف ورجال الدين، ضد المبدعين... (طبعاً الدكتور أولهم!!).

١٩- كل هذه التناقضات تمنع الإصلاح من الداخل؛ لذا فالطائرة لن تقلع.

٢٠- والحل: يكمن في دعوة أمريكا والغرب لإحضار أوراقهم الحضارية، لإصلاح هذه الطائرة «المعطوبة»..

٢١- من أجل أن يقوم الكابتن (بوش) بقيادتها، مجيباً الشعوب العربية قائلاً: (كابتن بوش يحييكم من على متن طائرة الديمقراطية، متوجهاً إلى بلاد الحرية والديمقراطية) وهذا الأمر أقرب إلى المستحيل.

٢٢- فما سبب الاستحالة؟؟ إن «الجينات» للإنسان العربي ترفض الديمقراطية، وليس في الأمر مبالغة، فالإنسان العربي بسبب الفكر التقليدي، والذي زاده الفكر الديني «سوءاً» صار عاجزاً عن تبني الديمقراطية والحرية، لأنها تضره.

٢٣- ولكل ما تقدم فإن طائرة الديمقراطية لن تقلع، وعلى الكابتن بوش إزالة كافة العقبات قبل الإقلاع... أهـ.

هذا حلم عظيم للإصلاح والديمقراطية واللبرالية، أم حلم يشبه الغثيان؟

يا دكتور بغدادي، اسمح لي أن أقول لك (هذا كلام معناه ليس لنا عقول) معلومة تجمع بين التين والعجين... يا دكتور، لا توجد طائرة ولو شراعية أو طائرة ورقية، الموجود على الأرض منذ سنوات عربة «كرو» يجرها بغل أعرج، قام الإسرائيليون فسرقوا عجلاتها، وزهد بها الحرامية فتركوها، فلا تخدع نفسك بوجود طائرة ولا كابتن ولا شرطي ولا جندي..

يا دكتور هذا الخطاب الفوقي الهجائي الشتائمي أحالكم على التقاعد وعزلكم، فلم تنجحوا في انتخابات أي بلد، حتى في البلاد التي تحتلها أمريكا... يا حضرة الدكتور بلاش أحلام وردية، زمانكم مضى وانتهى، وأمكم أمريكا عرفت قيمة وجودكم فتركتكم، والغزل وقصائد الهجاء لمجتمعاتكم لن تزيدكم إلا عزلة، الرصيد انتهى كله فمن أين تستلفون؟

العرض الإسرائيلي عليكم بالهجرة لماذا لا تفكرون فيه بجدية؟

لماذا لا تتركون المجتمعات المناكفة لكم وتتحولون إلى أمريكا مثلاً؟

وأخيراً لقد فشلتم فشلاً ذريعاً فلماذا المكابرة؟

حين يصير العلم نقلاً والعالم مترجماً

ماذا يحدث حين يفقد شعب ثقته بثقافته، ويمنحها لغيرها؟ د. حسن حنفي ومثله د. برهان غليون يكثرون الحديث عن ذلك.

د. حنفي[1] يرى أن الثقافة الغربية صارت ثقافتنا، في ظاهرة تدعو للانتباه، فالعالم من يعرف التراث الغربي، والعلم هو الوافد من المعلومات من وراء البحار، ولا يعد الإنسان مجدداً إلا إذا تعلم الوسائل الغربية، لقد صار العلم نقلاً، والعالِم مترجماً، أما المفكر فعارض لبضاعة غيره، ووجدت طبقة هشة من الأفكار والمذاهب والنظريات، طائرة ومحلقة فوق الواقع، ليست مستمدة من الموروث القديم، ولا نابعة من الواقع المباشر، تتضارب المعلومات، وتتعارض النظريات، بعضها ينفي بعضاً، فيحتار الباحث أمامها، ينظر فإذا هي مجتثة الجذور من أرضها، منتزعة من واقعها

(١) مقدمة في الاستغراب، ص (٧٠).

الخاص ثم يحتار ماذا يختار، وما هي المقاييس للاختيار، لقد زاد الكم، والفكرة الأساسية غائبة... أهـ.

الغرب يغزونا براً وبحراً، عقلاً وضميراً، والوكلاء يتكاثرون مثل السرطان المنتشر يتنافسون بينهم، تكثر المطالبة بالرجوع للمصادر بلغتها الأصلية، وكتابة المصطلحات بالفرنجية، أحدهم يريد إصلاح العقل العربي، فيكتب جميع المصطلحات الأجنبية كما هي بلغتها الأصلية، فكيف يتم الإصلاح إذن، هذا الهجوم على التراث واللغة والتاريخ وجلد الذات ليل نهار، ما الهدف منه؟

هناك من يشتكي من عدم مطاوعة اللغة العربية للمصطلحات الحديثة، فكيف طاوعت اللغة اليابانية والصينية، بل كيف طاوعت اللغة العبرية، علماً بأن اللغة العربية أكبر ثراء بالاشتقاق وغيره من غيرها.

لقد جرت محاولات ناجحة في سوريا لتعريب العلوم، والجامعة العربية كونت لجنة عسكرية لتعريب كافة المصطلحات، فمن يرد الوصول إلى ذلك عليه أن يبذل جهداً، لكن مع الكسل لن يتم شيء، وهنا نستذكر حين باشرنا الترجمة عن اللاتينية لعلوم اليونان والرومان، وعلوم الهند والفرس، لم تعجز اللغة العربية، فلماذا تعجز اليوم؟

أم أن المطلوب إثبات عجزها وعقمها، لتكون حجة لنشر الثقافة الغربية، دون ترجمة وكذلك العلوم؟

فرنسا ترفض كتابة إعلان أو مطوية بغير الفرنسية، وتعاقب الشركة التي تفعل ذلك، وتمنع إدخال أي مصطلح غريب، وتنشر لغتها في أكثر من دولة، وتشجع كل من يخدم الفرنسية من الفرنسيين وغيرهم. ختاماً اللغة وعاء وفكر وليس مفردات وجمل فقط، وهي بأهلها، تنهض معهم إذا نهضوا، وتموت معهم إذا ماتوا، وهناك

ملايين من المسلمين يعشقون لغتنا ويتمنون تعلمها والتحدث بها، وكثير منهم يعتقد أنها لغة أهل الجنة، فهل نحن على استعداد للإفادة من ذلك مثلاً؟

الموقف من الغرب وثقافته

في حياتنا الثقافية معارك صاخبة وصامتة، كل يغني على «ليلاه» عندنا من يحارب من أجل التراث، ومن يطالب بحرقه، فهو في نظره سبب البلاء، فينا من يعشق كل شيء قادم من الغرب، ومن يرفض كل شيء، فما الموقف الممكن والمعقول من الغرب وثقافته، وكل ما يمطرنا به؟

د. حسن حنفي يجيب بصراحة:[1]

١- مظاهر التغريب في حياتنا الثقافية، وأساليب حياتنا، كل ذلك مما يسبب أزمة هوية أصالة.

٢- الاستعمار الثقافي وسطوته واستمراره، من خلال سيطرة الغرب على أجهزة الإعلام والترويج لأسطورة «الثقافة العالمية» وسقوط العديد من المثقفين ضحية ذلك.

٣- رد فعل الحركة الإسلامية العنيف ـ وعن حق ـ ضد التغريب حتى عادت بعض احتياجاتنا، وخرجت على سنة القدماء في أخذ الحق من حيث أتى (يؤيد بقوة د.هشام شرابي، مع علمانيته القوية).

٤- بداية النهضة الإسلامية الجديدة، وإقالة الإصلاح من كبوته، مما يعطي تفاؤلاً بإمكانية «الاستقلال الحضاري».

---

(١) المرجع السابق، ويمكن القول بأن كثيرين لديهم هذه القناعة أمثال: د. برهان غليون ود. رفيق حبيب وأمثالهم، ص (٧٩).

٥- كشف أزمة الغرب، وكونه ليس «الحضارة» التي لا تقهر، وضياع الرهبة منه، والتمرد من عقدة الخوف، وبكونه ليس «الأستاذ» الأبوي... أهـ.

لعل من حسن حظ البشرية أن الكل ذاهب إلا وجه الله، وأن الأيام دُول، يوم لك ويوم عليك، وصدق الله ﴿ **وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فلا يبقى الغني على غناه، ولا الفقير على فقره أبداً، ولا المتقدم في صدارته وقيادته، ولا المتخلف على تخلفه، فكل من يستحق التقدم ويعمل له بجد ونشاط يتقدم، وكل من يتكاسل وينعس وينام يتأخر ويتخلف، هذه سنة من سنن الكون، وهكذا جرى تداول الحضارات، شبهها بعضهم بجهاز (الناعورة)، في كل دورة يرتفع «دلو» كان في الأسفل لينزل «دلو» كان في الأعلى، القضية وفقاً للعدل الإلهي المطلق، كل مستحق يأخذ دوره، ولكل متكاسل عقوبته، ويوهم نفسه من يعتقد أنه من شعب الله «المختار»، فالله ينظر للبشر نظرة عدالة ومساواة، فمن استحق الصعود بجدارة يصعد، ومن استحق الهبوط بجدارة يهبط، ولا مانع يمنع من هبط أن يصعد ثانية، ومن صعد أن يهبط ثانية، وكل شعب وأمة واتته الفرصة تقدم، والعكس كذلك، أما النظرة العنصرية التي ترى أن التقدم من نصيب شعوب بعينها فكذبة كبيرة، وضحك على النفس والغير، وهكذا شهدت الأرض حضارات، عد المؤرخ البريطاني ـ الدارس لها ـ (٢٦) حضارة، كان آخرها حضارة اليوم، التي بدأت تشيخ، وتضربها أنواع من الأمراض المخيفة القاتلة لعل على رأسها زيادة «جرعة» القوة، وضمور أو ندرة «العدالة» وتسلم قيادة العالم بأيدي ناس يضربهم الفساد من كل ناحية، ومعلوم أن الإنسان هو المنشئ والقيم للحضارة، بعافيته تتعافى الحضارة وتتقدم، وبمرضه وشيخوخته تمرض وتشيخ، والله تعالى لا يحابي أحداً، ولا يجامل أحداً، وهو القائل: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾ (الإسراء: ١٦).

من سنة الله تعالى أنه لا يأمر إلا بالعدل، ولا يأمر إلا بالخير، ولن يهلك مدينة ولا دولة ولا حضارة إلا بما فعلت وكسبت، وصدق الله: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾ (هود: ١١٧).

وقد سبق هذه الآية قوله تعالى: ﴿**فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ**﴾ (هود: ١١٦).

فمما تشكو منه حضارة اليوم: «ترف قاتل، وفقدان لموازيين العدل، واستعمال ظالم للقوة» وكل علة من هذه العلل حطمت حضارة أو حضارات، فهل يفطن إنسان اليوم لهذه الأمراض فيعالجها، أم يقول: (أنا قوي ولن أسقط، وحضارتي قوية ولن تسقط)؟

معارك الغرب ليست معاركنا

تقدم أن الغرب أو ثقافته قامت ـ كما تقول سغريد ـ على نوع من الثنائية الله والإنسان، الأرض والسماء، الخير والشر، الروحي والبدني، الدين والدولة، العقل والنقل،.... هذه الثنائية ليست من ثقافتنا، ثقافتنا تقوم على التوحيد، مصدرها الله، والإنسان هو الخليفة في الأرض ومسؤول عن عمارتها وعن عبادة الله تعالى كما أمر؛ لذا فدخولنا في معارك «ثنائية» لا مصلحة لنا فيها ولا موجب، ولكن لأن (التابع تابع ولا يفرد في الحكم) فقد رحنا نهرف بما نعرف وبما لا نعرف، تركنا قضايانا وشغلنا أنفسنا بقضايا غيرنا، ويلاحظ أنه ما إن تطرح قضية في الغرب ولو كانت «عبادة الشيطان» حتى نجد «الصدى» عندنا، في الأفكار وفي القيم وفي السلوك وفي السياسة وفي الاقتصاد وفي الاجتماع، لبسوا البراذع من الجنز فلبسناها، لبسوا الكعب العالي فلبسناه، قصروا الملابس فقصرنا، وضعوا سلاسل الذهب في الرقبة للرجال، فوضعناها، أكلوا فأكلنا ولبسوا فلبسنا، شربوا فشربنا، رقصوا فرقصنا، فهل نحن قرود مقلدة؟

وبعد هذا وقبله وفوقه: أين النتائج العظيمة لهذا «الركض» أفتونا مأجورين. د. حسن حنفي وهشام جعيط وأمثالهم يشكون إلى الله هذا «الركض» حتى حفيت منا الأقدام وأدميت، وتبين أنه «سراب بقيعة» حسن الحنفي يشكو هذا الركض الأسطوري فيقول[1]: الغريب أن يدخل باحثونا ومفكرونا وطلابنا في هذه المعارك، وهم ليسوا أطرافاً فيها، إنهم يغلِّبون رأياً على آخر، يناضلون بين جزء وجزء، يفضِّلون طرفاً على آخر، ينسون حضارتهم وعقليتهم «التوحيدية» وهم في خضم تقليد للحضارة الغربية هم أسرى عقليتها؛ لذا أثرت على أنماط تفكيرنا، وعلى كل عقلية ناهضة، وجعلتها تنقل أنصاف الحقائق، على أنها «كل الحقائق» فتحزبت، حيث لا أحزاب، وانتصرت لمحارب، وهي في موقع المتفرج... أهـ.

بالمناسبة فقد قرأت للدكتور رجاء جارودي ـ وهو سكرتير الحزب الشيوعي في يوم من الأيام ـ بأنه لم يجد من الشيوعيين العرب من يفهم الشيوعية، وأزيد كيف يفهم عشر مثقف العلمانية أو اللبرالية أو الحداثة وما بعدها؟

هل وصلنا الشك الغربي؟

في ثلاث زيارات لشرق وغرب وجنوب القارة الإفريقية وصلت إلى قناعة كبيرة أن أمراض الحضارة الغربية ضربت وفتكت بالإنسان الإفريقي قبل أن تصله منجزات تلك الحضارة.

وبالنسبة لنا قد تكون وصلتنا الحضارة محملة «بشكوك» لها أول، ولكن ليس لها آخر، فأثرت علينا تأثيراً سلبياً كبيراً.

قدمت ما قاله عالم الاجتماع الأمريكي فرانك فريدي من فقدان الغرب للثقة بقيمه وبكل مؤسساته، وهو يستغرب ـ أي الغرب ـ كل الاستغراب لأن الجاليات المسلمة لديه ما تزال متمسكة بدينها وقيمها، وواثقة منها.

---

(١) المرجع السابق، ص (٦٦١).

الغرب يصدر لنا بضائعه وكذلك أفكاره، بل قد يمنع عنا بعض بضائعه مثل المعدات العسكرية، لكنه يفضل تصدير الأفكار مثل: العلمانية والحداثة وحرية المرأة، والشذوذ الجنسي.... هذا غير المشروبات الروحية وحتى المخدرات، ولما كان الأمر كذلك، فعلينا الاهتمام بالغرب وما يجري فيه، ومعرفة ذلك بدقة.

د. حسن حنفي مهتم بالأمر جداً؛ لذا نراه يقول[1]: لا يوجد شيء - في الغرب - إلا يمكن الشك فيه، إذ لم يعد هناك يقين، ولا يوجد بناء لا يمكن هدمه، ولم يعد هناك شيء ثابت، من هنا اتسم الوعي الغربي، بالحيرة وعدم الاستقرار، والبحث الدائم عن شيء يمكن التأكد من وجوده، أو حتى إمكانية إدراكه، بالرغم من المناهج «الحدسية» ووسائل التحقيق المنطقي والعلمي.

إن الوعي الغربي يتجه إلى بؤرة لا يمكن تثبيتها؛ لذا أصيب بالحيرة الدائمة، صار قلقاً لا يستقر له حال، على منهج أو موضوع أو نتيجة أو غاية، مرة يحاول بالعقل، وأخرى بالحدس، وثالثة بالوجدان، ومع ذلك، فإنه لا يدرك إلا أجزاء... تتكافأ عنده الأدلة، فيعود من حيث بدأ... صارت العقلية مكتسبة، لكنها فقدت فطرتها ونورها الطبيعي، خسرت نفسها، وإن توهمت أنها كسبت العالم... هذا القلق المستمر يدفع نحو الكشف عن مذهب جديد يشبع رغبة آنية، ثم يتم تطويره لينشئ مذهباً جديداً وهكذا، فكل يوم يحمل جديداً ليصبح بالياً... أهـ.

والسؤال: إلى أين، وهل هناك «بوصلة» أم إبحار دون بوصلة؟

وسؤال آخر: هل كتب على البشرية أن يقودها من لا يحسن أن يقود عائلته؟

كنت أسكن في الرياض، وعلى بعد أمتار تسكن عائلة، زوج وزوجته، لم ينجبوا، والخلافات بينهم مستمرة، والأصوات مرتفعة، والزوجة مسؤولة عن برنامج عنوانه (البيت السعيد) !!، فأبشروا أيها الناس، ببيت سعيد!!

---

(١) المرجع السابق، ص (٦٦).

حرب بلا نهاية

(حرب بلا نهاية) كتاب لمؤلف فرنسي اسمه «ترونوتير تاريس» صدر في باريس عام (٢٠٠٤م) وقام بالتعريف به الكاتب اللبناني جورج طرابيشي، الكاتب يدرس الحالة المتوترة في العالم فيعتبرها من حرب الأصوليات، وألخص ما ورد في الكتاب كما يراه جورج طرابيشي[١]:

١- إن أمريكا -المتحالفة مع إسرائيل حلفاً لا فكاك له- مُستَنْفَرةٌ من قبل القوى الأشد تطرفاً دينياً.

٢- هذه القوى الدينية تنظر إلى تدمير «الأبراج الأمريكية» على أنها مضاهاة لتدمير الهيكل في القدس.

٣- إن ابن لادن يضاهي بمختتصر الذي ساق السبي اليهودي إلى بابل.

٤- أما سقوط بغداد فهو الأشبه بسقوط بابل.

٥- روبرت (حواري) من جماعة الدفاع عن الإيمان لشن حرب «صليبية» جديدة، وإلى تدمير المدن الإسلامية المقدسة، وأولها مكة.

٦- الواعظ التلفزيوني (غراهام) يعتبر الإسلام أخبث الديانات.

٧- القس (جيري) يصف نبينا عليه السلام بأنه إرهابي.

٨- (سوغارت) يصفه بالفسق الجنسي.

٩- روبرت تسون يقول: المسلمون أشر من النازيين.

١٠- يعتبر المؤلف «الصدام» الحاصل بأنه صدام أصوليات... أهـ.

---

(١) صحيفة الحياة ٢٠٠٤/٥/١١ م.

إن الهيكل دمر أكثر من مرة، فأيها المقصود؟

تشبيه ابن لادن ببختنصر يحتاج لبعض الشرح في البيان، فالتوراة تسميه أولاً باسم بنوخذ راصر ملك بابل (أسفار النبي إرميا ٢١:١).

وفي الإصحاح (٢٢) للنبي إرميا يخبر ملك يهوذا بأن الله سيسلمه ليد بنوخذ راصر ملك بابل وليد الكلدانيين (إرميا ٢٢:١٦).

وفي الإصحاح (٢٥:٩) يذكر النبي إرميا أن رب الجنود يقول لأنكم لم تسمعوا لكلامي أرسل فآخذ كل عشائر الشمال إلى نبوخذ راصر عبدي ملك بابل.

في الإصحاح (٢٧ : ٦-٩) لإرميا يقول الرب بأنه دفع كل هذه الأراضي ليد بنوخذ راصر ملك بابل عبدي وأعطيته أيضاً حيوان الحقل ليخدمه.

وكل الأمة أو المملكة التي لا تمد نبوخذ راصر ملك بابل والتي لا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل إني أعاقب تلك الأمة بالسيف والجوع والوباء، يقول الرب حتى أفنيها بيده)... أهـ.

ويتكرر هذا حرفياً في آخر الإصحاح مع المطالبة بخدمة ملك بابل..

وفي الإصحاح (٢٩ : ٧) (اطلبوا سلام المدينة التي سبيتكم إليها وصلوا لأجلها إلى الرب، لأنه بسلامها يكون لكم سلام).

فإذا كان القسس والوعاظ لا يقرؤن التوراة ولا يعرفون ما جاء فيها فماذا يعرفون؟

وأما الحديث عن حرب «صليبية جديدة» فهي من أحلام القطط التي تدور دوماً وأبداً حول الفيران لا أكثر. إسرائيل تريد الحرب على شرط أن يكون وقودها الجندي الأمريكي، فماذا ستخسر إسرائيل؟ إن لسان حالها يقول: القاتل والمقتول،

من الأمريكان والمسلمين إلى جهنم وبئس المصير، وإذا كان نبينا عليه السلام إرهابي فماذا سيكون حال أنبياء بني إسرائيل؟ وأولهم «يشوع بن نون»؟

وأخيراً فالكلام صفة صاحبه، وإلصاق التهم بغير اليهود سهل، ولكن هل من شجاع يقول كلمة في إسرائيل وما تفعل؟

الجنرال زيني وشجاعة كبيرة

العسكر جنود يحسنون تنفيذ أوامر الساسة، الشجاع منهم قد يناقش ثم ينفذ، لكن الجنرال زيني بعد أن تقاعد، طفح عنده الكيل فقال موشحاً عذباً جميلاً، وصف فيه الساسة بالفشل وطالبهم بالاستقالة، وتوجه لخدم إسرائيل فسماهم فرداً فرداً، دون خوف ولسان حاله يقول (وكل الذي فوق التراب تراب).

الجنرال «انتوني زيني» ليس عسكرياً من صنف «أمركم سيدي» فهو قائد ورئيس للقيادة الأمريكية، وحديثه ليس للتهريج، وهو من القلائل الذين يسمون الأشياء بأسمائها، دون لبس، فالمسؤولون عن الحرب في العراق فشلوا وعليهم جميعاً الاستقالة، والحرب وما أدراك ما الحرب شنت في العراق من أجل إسرائيل، وبدفع وتحريض من مسؤولين يهود يسميهم واحداً واحداً دون أن يخاف... الحديث الشجاع سجله لشبكة «S.B.C»[1] ولعل أروع ما ذكره أن أمريكا تعد بتغيير (ديمقراطي إيجابي) لكن الذي حصل غير ذلك تماماً، «غزاة صليبيون جدد، وقوة احتلال جديدة» وهو يحمِّل كبار المسؤولين في «البنتاغون» وخصوصاً اليهود، وعلى رأسهم نائب وزير الدفاع «بول ولفوفيتر» ومساعده ومع هؤلاء «المحافظون الجدد» ثم يعلق: إن الشخصيات المتقدمة ترى في غزو العراق وسيلة استقرار لمنطقة الشرق

(١) صحيفة الحياة، ٢٠٠٤/٥/٢٥م، الصفحة الرابعة.

الأوسط، ولمساعدة إسرائيل... لقد شجعوا وساعدوا على تلك الأمور، حتى زوروا معلومات استخباراتيه، تخدم أهدافهم ومصالحهم، لكل ذلك فعليهم جميعاً أن يتحملوا المسؤولية، فقد روجوا الفساد والأكاذيب... أهـ.

شكراً يا زيني، لهذه الصراحة والشجاعة، في زمن يمتهن الكبار الكذب والنفاق، وأذكر بأن جامعة اكسفورد تبنت بحثاً أكاديمياً بكل هذه الأمور ثم عادت لتسحب أسمها؛ لأنه جرى تحميل اليهود كل ذلك كما نشرت (هآرس) أسماء اليهود وعددهم (٢٥) في التحريض والدفع باتجاه إشعال الحرب، ولو تمكنت إسرائيل وخدمها في أمريكا لدفعوا بالولايات المتحدة إلى خوض حروب في كل العالم، وضد كل الشعوب لتقول إسرائيل للأمريكان (العالم كله يعاديكم إلا نحن) فهل يوجد شجعان مثل (زيني) يقولون لإسرائيل: (إن سبب عداء العالم كله لنا يعود لانحياز سياستنا كلياً لكم؟).

باتريك سيل: للأمريكان والبريطانيين اتركوا العراق

من المعروف عن الصحفي البريطاني «باتريك سيل» شجاعته الفذة، فهو لا ينافق لأحد ولا يخاف أحداً، وما عنده كبير حتى البعير.

كتب يقول[٨٧]: الحقيقة إن أمريكا وبريطانيا أقدمتا في لحظة غرور جنوني على اجتياح وحشي استعماري احتلالي للعراق، ما لبث أن ولَّد ـ كما كان متوقعاً وحتمياً ـ حركة مقاومة وطنية، وعليه فكلما سارعت «القوات الغازية» بالعودة لبلادها، كان ذلك أفضل للطرفين: للمحتلين وللعراقيين على حد سواء... أهـ.

هذا ما يكتبه صحفي بريطاني شجاع... أما من جاؤوا على دبابات أمريكية واستلموا وزارات، وأطلقوا أيديهم في النهب، فما زالوا يسبحون لمن حررهم، فلولا

(٨٧) صحيفة الحياة، ٢٠٠٥/٥/٢٨م.

هذا (المحرر) لماتوا دون أن تبكيهم عين، ولا عمرت بحساباتهم بنوك في الشرق أو الغرب، ولا شروا عمائر بالملايين في الخليج؛ لذا فهم غير مستعدين للتنكر (لأولياء النعمة) مؤقتاً !!

هاربون صغار ولكن

في البشر الجميل والقبيح، الطويل والقصير، وفي العالم دول كبيرة يزيد عدد نفوسها على مليار وثلث، ودول عدد نفوسها ربع مليون، وما بين ذلك، الإنسان القصير هل ينفعه أن يقف على أطراف أصابعه؟ والدولة القليلة العدد والإمكانات هل ينفعها أن تتحدث كامبراطورية كبيرة؟

بعض الدول الصغيرة اكتشفت أمراً جديداً: أن تتحزم بأمريكا، وتسارع لتنفيذ كل ما تريده، بل صارت تقرأ «الكف الأمريكي» لتقرأ المستقبل.

الكاتب الصحفي «عبدالوهاب بدرخان» استفزته بعض هذه الدول الصغيرة التي لا ترى على خارطة العالم فكتب تعليقاً على «قمة الدول العربية بتونس» وكان العنوان معبراً[1] (صغار يزعجون الكبار ويسابقونهم في مأزق النظام العربي) صغار يستقوون بأمريكا ويعملون تحت شعار (متى رضيت عليك أمريكا فافعل ما تشاء) وأزيد من عندي (فكل الذي فوق التراب تراب).

يستعرض «بدرخان» حال العالم بعد (١١) سبتمبر، فقد صار هذا التاريخ معلماً في الحاضر العربي، واستخدم لضرب الكبار ومضايقتهم داخلياً وخارجياً. استخدم الحادث لضرب قضية فلسطين، ولإسقاط النموذج العراقي، انتعش الصغار وصاروا قادرين على الاستقواء، وعلى نقل الإملاءات الأمريكية وغيرها، وصاروا كمن يعطي دروساً، وما على البعض أن يفعله. صار الصغار على أتم استعداد

(١) صحيفة الحياة، ٢٠٠٤/٦/٦م.

للإصلاح على الطريقة الأمريكية، حققوا إنجازات فاستحصلوا شهادات «حسن السلوك» الأمريكية، مع أن شيئاً لم يتغير، لا في السلوك ولا في المجتمع، ولا في الحريات، ولا في حقوق الإنسان، ولا في الاحتكام للقانون، في غفلة من الزمن صارت كلمة (الصغار) مسموعة، لسبب واحد وحيد، إنها «أمريكية» وكفى، وأحياناً قد تسبق التفكير الأمريكي، صاروا يتبرعون بما لم تطلبه أمريكا، كما صاروا يدعون إلى مؤتمرات الكبار، كممثلين للعالم العربي، وغداً سيكونون «العجلات» التي توضع عليها عربة (الشرق الأوسط الكبير) مع كون «الجماعة» هاربون لتوهم من «الشرق الأوسط الصغير» ومن متاعبه ومشاكله... أهـ.

هناك أسطورة تقول: كان حداد يركب أحذية لبعض الخيل فتقدمت «خنفسة» حقيقية وليست من خنافس البشر ولا من متخنفسته، سألها الحداد: يا أخت ما طلبكِ؟ قالت بتواضع جم، وقليل من الخجل: من فضلك ركِّب حذاء حديد مثل حذاء الخيل!!.

الإنسان يمكن أن يصاب بإنفلونزا الطيور أو حمى البقر أو جنون العظمة، وكل هذا مما يؤذي ولكن يحترم، لكن أن يتحول حاكم أو دويلة بزاوية قدرها (١٨٠) درجة فهذا أمر يصعب تصوره، كما يصعب قبوله.

ياهو: إن لم تحترموا أنفسكم وشعبكم، فخافوا من العالم الذي يصفكم بالمنافقين الجدد أسوة «بالمحافظين الجدد».

يا خدم أمريكا «الجدد» ماذا أنتم صانعون إذا تخلت عنكم «أمكم» أمريكا، وبقيتم بلا سند ولا ملابس تغطي «العورة»؟

هل ستبحثون عن أمريكا جديدة؟

جار ومجرور

في النحو العربي جار ومجرور، حرف جر مثل (من، إلى، على، في...) فإذا تسلط حرف الجر على ما بعده (جره)، وفي السياسة اليوم جار ومجرور، بالأمس حيث يذهب الاستعمار البريطاني يجر معه «وفي ذيله» الهندي، مات الاستعمار القديم، وقيل لم يمت ولكن خرج من الباب فعاد من الشباك... السيد المستعمر عاد تحت عنوان «خبير» أو ممثل لهيئة دولية، أو مدير شركة في العلن وفي السر (دبوس)، أما الجديد ـ يا ويلنا من الجديد ـ فحيثما حلت أمريكا كان خلفها الإسرائيلي، أمريكا تقاتل وتحارب فإذا انتهى كل شيء جاء الإسرائيلي فقال: أين حقي؟

ونظراً للحصانة المطلقة للإسرائيلي لذا يتحرك دون خوف ولا وجل، يجد الأبواب أمامه كلها مفتوحة، وأحياناً مخلوعة، وإذا أعيته الحيلة دخل وتسلل من الشباك، فإذا ضبط متلبساً بجرم وضع على طائرة تحمله إلى قبرص أو إسرائيل ليعود بعد أيام بجواز سفر جديد ـ طبعاً غير إسرائيلي ـ واسم جديد وهو مطمئن أن لا حساب ولا عقاب ولا غضب.

صحفي أمريكي شجاع لا يخاف ولا يهاب هو «هيرش» يتابع الإسرائيليين ويحاول أن يكشف ما يعملون.

يكرر «هيرش» أن الإسرائيليين موجودين في العراق وبكثرة[1]، وذات مرة أعلنت وزارة الداخلية العراقية أنهم طردوا إسرائيلياً؛ لأنه دخل العراق بشكل غير نظامي، المعلومات صارت تشير بأصابع الإتهام إلى إسرائيل في اغتيال علماء في

(١) صحيفة الحياة، ٢٠٠٤/٧/٤م.

العراق ليسوا من الإرهابيين ولا من السياسيين، وبالمناسبة فهناك قتل منظم لكبار ضباط الجيش العراقي ممن حاربوا في إيران، وأهلنا يعتقدون أن الموساد لديها قوائم لتصفيتهم وللمخابرات الإيرانية قوائم مماثلة، مما جعل بعض الضباط يهرب خارج العراق ويطلب اللجوء، بينما يلتزم آخرون بيوتهم لا يغادرونها؛ لأنه لا أحد يحميهم أو يسأل عنهم أو يدافع عنهم!!

(هيرش) يقول المرة بعد المرة بوجود إسرائيلي في العراق شماله ووسطه وجنوبه، الجديد في الأمر أن إسرائيل تطالب ـ على لسان وزير خارجيتها ـ بإقامة علاقات دبلوماسية مع العراق، وكأن العراق أنهى كل مشكلاته ولم يبق سوى إسرائيل، وزير خارجيتها ـ وهو مطمئن على سلامة «رجاله» في العراق - يعلن أنهم يوجدون في الشمال وغيره لغرض الأعمال التجارية، وهل توجد دولة تعترف بوجود مخابرات لها في دولة أخرى؟ هل تعترف أمريكا مثلاً بوجود مخابرات لها وفرق خاصة للقتل والاغتيال في العراق؟ هل تعترف إيران مثلاً بأنها تملأ العراق برجال مخابراتها أم هم مجرد تجار وزوار ولا شيء فوق ذلك؟

ضابطة أمريكية مسؤولة عن سجن أبي غريب «الذائع الصيت» تقول: لقد رأيت في التحقيق أشخاصاً اعترفوا بأنهم من إسرائيل، وقد كانت تعتقد أنهم من العرب.

فهل كانوا يتاجرون وبماذا؟

والسؤال: هذا (الجار والمجرور) هل له نهاية؟، وهل نتصور بقرة من غير ذيل، وأختم بخبر نشرته صحيفة (معاريف)[1] الإسرائيلية، يقول الخبر: إن محتجزاً إسرائيلياً اسمه «جورج بن باشي» عمره (٣٦) سنة من أصل مغربي أمضى أربعة أشهر في العراق في معتقل أبي غريب، عندما كان يتسلل من الأردن إلى العراق،

(١) صحيفة الحياة، ٢٠٠٤/٩/٢٢م.

وقد صرح وزير حقوق الإنسان (الكردي) بأن (جورج) أطلق سراحه، لأنه لم توجد أدلة على ارتكابه أعمالاً خاطئة.

وتشير (معاريف) إلى أن (جورج) من رجال الموساد، ولكن الحكومة لا تعرف ذلك.

وبالمناسبة فهناك عرب يعتقلون في شمال العراق ولسوء حظهم فإنهم لا علاقة لهم بالموساد كي يطلقوا، ويطالبون بدفع «فدية» كبيرة ولعجزهم فما زالوا منذ سنوات رهن الاعتقال وإلى الله المشتكى.

الإرهاب واتحاد البربريات

الإرهاب وما أدراك ما الإرهاب، تحول جديد مثل الفساد، تعرفه بآثاره وما يفرزه، ومع ذلك فهو أشبه بسراب.

الغريب في الأمر أن الكل يهاجم الإرهاب والفساد والعنصرية والاعتداء على الإنسان وحقوقه، الكل يستنكر ذلك، فمن يتعاطاه؟

والسؤال الثاني: لماذا يستشري الإرهاب على مختلف مستوياته، الفردي والجماعي وإرهاب (الدولة) والإرهاب الثقافي؟

ألا يصح القول بأن من منشطات الإرهاب فقدان العدالة، وتغول الدولة على مواطنيها، والدول الكبيرة القوية على الدول الصغيرة والضعيفة؟

الكاتب الأمريكي الجاد «إيمانويل تود» يتحدث عن الإرهاب، وعن حملة بلاده على الإرهاب فيقول[1]: مفهوم الإرهاب العالمي، الذي يسمح لأمريكا بأن تطرح نفسها كقائد لحملة صليبية عالمية، وأن تتدخل في أي مكان بصورة منتظمة

(١) ما بعد الديمقراطية، ترجمة محمد زكريا إسماعيل، الطبعة الأولى، ص (٦٧).

وسطحية، كما في الفلبين واليمن، وبناء قواعد في أوزبكستان وأفغانستان، وترسيخ حضور عسكري على حدود الشيشان، وكل هذا ليس له مبرر علمي أو تاريخي في دراسة حقيقة العالم الراهن.

إن مفهوم الإرهاب العالمي غير معقول، بل هو ضرب من العبث، من وجهة نظر العالم الإسلامي الذي سوف يخرج من أزمة انتقاله، دون تدخل خارجي، عن طريق عملية تهدئة تلقائية، وفي الواقع فالإرهاب كمفهوم لا يفيد سوى أمريكا، إذا كانت بحاجة إلى عالم يشتعل في حالة من الحرب الدائمة. إذ إن الحديث عن الإرهاب يراد منه أمور منها تخويف الشعب، وإسكات من يعارض، فإن لم يسكت فيمكن وصفه بأنه راضٍ عن الإرهاب؛ لذا فالكل اليوم يتبرأ من الإرهاب وأهله... لكن الإرهاب أنواع: إرهاب يقوم به فرد ضد آخر، أو مجموعة صغيرة أو كبيرة ضد مثلها، ولكن الأنكى والأخطر والأضر أن تستغله قوة كبرى ودولة قوية، فتشن باسمه واسم محاربته أفتك أنواع الإرهاب، هنا تكون الطامة، كذلك تشن اليوم حملات للإرهاب الفكري هدفها لجم المعارضين وتخويفهم، وإرهاب اقتصادي وسياسي وهكذا... الكاتب (ايمانويل تود) تحدث عن نوع واحد من الإرهاب نوع (لا يفيد سوى أمريكا) تستعمله «فزاعه» تخيف به من تشاء، وتستعمله ضد من تشاء، وإلا فمن يصدق أن بلداً مثل العراق المحاصر المحطم يشكل خطراً على أمريكا، أو أن بلداً أو حكومة بدائية مثل أفغانستان أو السودان يمكن أن تشكل خطراً على بلد مثل أمريكا؟

العالم والبربرية

أدغار موران فرنسي الجنسية من يهود الأندلس، ولد عام ١٩٢١م، هاجر أهله إلى تركيا، ومنها إلى فرنسا... ومع يهوديته، فهو متهم من أبناء دينه بأنه عنصري لا سامي، يمجد الإرهاب لماذا؟ لأنه يعتبر إسرائيل ظالمة للفلسطينيين، وتلك جريمة

كبرى، ولو كان «موران» شاباً لاتهم بالإرهاب، لكن «السن» لطَّف التهمة من إرهابي خطر إلى (ممجد للإرهاب) يا سلام !!

موران الشجاع يتحدث عن تحالف خطر بين (بربريتين)[1] الأولى قديمة والثانية حديثة جديدة... بربرية واحدة يمكن أن تشعل نار حرب كونية، فكيف الحال حين تتحد «بربريتان» اللهم الطف بالعالم وجنبه الكوارث والفواجع.

يرى «موران» أن البربرية الأولى جلبت الحروب والتعصب والدمار والعبودية والاستغلال، وأما البربرية الثانية ـ وهي الأكثر تجلداً ـ فقد انبثقت عن الحضارة الصناعية، والتقنية الحديثة، التي تفرض المنطق الآلي متجاهلة أحاسيس البشر، مستغلة في ذلك كل وسائل الدمار والتسلط.

وهكذا تنازعت عالمنا الحاضر «بربريتان» بعد اتحادهما منذ نهاية الحرب الكونية الثانية... ومن بركات هذا «الاتحاد» توسع عمليات «الانتقام» على مستوى دولي كبديل للعدالة، وتراجع الضمير «المدني» في كل مكان، وسيادة العنف، حتى صارت الجرائم «عالمية» مما يدفع بالعالم أكثر فأكثر نحو الحروب والتدمير، مثلما رأينا في حروب البوسنة والهرسك باسم القومية والدين، وها نحن نعيش من جديد حرب «العراق» كحرب ضد الإرهاب، في حين أن الرئيس الأمريكي يخضع في نظرته وتحليله لخطاب كنيسته المتعصبة... وهكذا يحصل عندما يخلط الناس بين ما هو ديني، وما ليس بديني، وهنا يكمن التراجع... أهـ.

فإذا أضيف لما تقدم من تصور لرئيس أكبر دولة بأن الله أمره بالحرب هنا، والضرب هنا، واجتياح هذا البلد، وتحطيم هذا النظام، وتأييد ذاك، إنها أغرب مهمة دينية يقوم بها حاكم «علماني» في العصر الحديث.

---

(١) من حوار لصحيفة الحياة في ٢٠٠٤/٩/١٩ (على الصفحة ١٥).

فإذا أضفنا لذلك «هلوسة» جديدة تشيع اليوم في أمريكا حول (الظهور المجيد للسيد المسيح) وقتل الملايين من البشر غير المسيحيين، هم وخيولهم بحيث يجري دفنهم بقبر جماعي بعد سقوط لحومهم وعيونهم، وكذلك الحال لخيولهم... هذه الهلوسة تنتشر اليوم في أمريكا، وقد كتب عنها «نيكولا كريستوفر» في صحيفة نيويورك تايمز، وهذه الماسأة الدموية بيع منها أكثر من (٦٠) مليون نسخة.

ألم يتحول السيد المسيح إلى جنرال من جنرالات الحرب، يقتل الملايين من غير المسيحيين وليدفنوا في قبر جماعي، ومصيرهم جهنم وبئس المصير، أليس من حق كل أحد أن يتساءل أين صارت مقولة السيد (من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر...) إنه «التجييش للحرب والقتال، وباسم السيد المسيح، يتاجر به رجال منفوطون وشركات لها طبيعة جهنم التي لا تشبع، فهل كتب على العالم أن يقوده «مهوسون»؟

المسافة بين الشعارات والواقع

يردد الإنكليز مقولة مفادها: إن وضع ألف نظرية أيسر كثيراً من تطبيق واحدة منها... وبالمثل فإن وضع ألف «شعار» عمل سهل، لكنّ تطبيق شعار واحد أصعب من ذلك.

يستوي في هذا مؤمن وكافر، متقدم ومتخلف، جائع ومتخم...

وقد ترجمت بعض الصحف العربية مقالة عن «الغارديان» الصحيفة البريطانية المعروفة، يتحدث كاتبها عن هذه الظاهرة المستشرية اليوم، والتي تنمو «سرطانياً» ولا سبيل لإيقافها، والتي نعاها الله تعالى فقال[1]: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ والإنسان قد يجد عذراً

(١) سورة الصف، الآية: ٢-٣.

للضعيف في هذا، لكن أي عذر للقوي، أن يتحدث بلسانه ثم يناقض ذلك بسلوكه وأفعاله؟

جاء في مقال الغاريان[1] إن الولايات المتحدة دأبت على الادعاء بأنها دولة تحترم الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان، وتدافع عن هذه القيم، لكن العالم بأسره يعلم جيداً أن ذلك مجرد «شعارات فارغة» لا تلتزم بها أمريكا على صعيد التعامل مع الآخرين، فما يحدث في السجون الأمريكية في العراق وأفغانستان وغوانتنامو من عمليات تعذيب للسجناء، يطرح جملة تساؤلات حول التزام الأمريكان بما يدَّعون من شعارات، فأمريكا لا تؤمن بمعنى العدالة وغير قادرة على إيجادها في العالم؛ لأنها عاجزة عن توفيرها داخل المجتمع الأمريكي.

إن الرئيس بوش يتزعم في أخطائه الفادحة حرباً على الإرهاب في العالم ـ كما يدعي ـ لكنه في الواقع يقود حرباً «إرهابية» على آخرين، فالسياسة الأمريكية تتجاهل القوانين والأعراف الدولية، وكذلك حقوق الإنسان، والقيم الديمقراطية، وهي تعمل بسياسة إرهابية؛ لذا لا يحق للأمريكيين الذين يمارسون كل أنواع التعذيب التحدث عن حقوق الإنسان والعدالة، وهم يُزجون بعدد كبير في هذه السجون، ودون محاكمة... أهـ.

من المعروف أن جل دول العالم الثالث تفتقد العدالة، ولا تحترم آدمية الإنسان؛ لذا فهي تخترع التهم وتعذب الأفراد حتى يعترفوا بجرائم لم يفعلوها ثم تحكم عليهم، هذا صار من المسلّمات، ولكن أن تفعل ذلك دولة كالولايات المتحدة، تعتقل وتعذب تملأ الأرض بسجون سرية وعلنية فهذا هو الجديد المستنكر، ففاقد الشيء لا يعطيه، ومن يحارب الإرهاب ليس من حقه نشره.

---

(١) صحيفة الوطن السعودية، ١٤٢٥/١٢/١١هـ.

آلهة الكره والمحبة

يؤمن اليونانيون القدماء بتعدد الآلهة حتى بلغت (٣٦) ألفاً ـ كما يذكر ذلك «مونتي» (١٥٣٣-١٥٩٠) كل إله يختص بشأن من شؤون الإنسان، إله للحب وآخر للحصاد وثالث للربيع وهكذا، الجديد أن بعض المهووسين في أمريكا راحوا يرسمون صورة جديدة للسيد المسيح المسالم المحب لعدوه، وكأنه جنرال متعطش لسفك الدماء، والدخول بمعارك بحيث يقتل المليارات من البشر، حتى تصل الدماء إلى رؤوس الخيل ولا يبقى في الأرض بشر إلا النصارى... وقد تقدم بعض هذه «الهلوسة» ورموزها، مهلوس من هؤلاء اسمه «ستيفن كوهين»[1] خبير أو خبيث بشؤون الشرق الأوسط اكتشف شيئاً جديداً مدعياً بأن المسلمين يؤدون الصلاة لإله «الكراهية» وحده.

مهووسة اسمها «جانيت بارشال» تتحدث عن أن المسلمين يعبدون القمر، وأساتذة جامعات مثل «د. روبرت موري» يقولون ذلك في محاضراتهم هذا والقرآن يسجل حقيقة فيقول[2]: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾، وأختم بذكر هلوسة لم يسمع بها العالم قبل اليوم فإن «جونلويد ستيفنز» اكتشف أن كل مسلم مخلص لدينه يلزمه أن يتزوج (٣٦) امرأة عذراء.

وأريد أن أذكر ـ مجرد تذكير ـ أن التوراة سجلت أن النبي سليمان كان لديه (٣٠٠) امرأة حرة، ومعها (٧٠٠) أمة فما رأي المهوسين؟

والسؤال الأهم: هل يوجد أحد في الغرب يستطيع أن يقول عُشر ما تقدم في اليهود كشعب وفي اليهودية كدين؟

---

(١) صناعة العداء، رجب البنا، طبعة أولى، ص (١١٢).

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٧.

لماذا كل هذه «الشجاعة» إذا كان الحديث عن الإسلام وأهله، وكيف تذوب هذه الشجاعة عند الحديث عن اليهود أو الديانة اليهودية؟

هل من مجيب؟!

لماذا التخوف من الإسلام: محاولة فهم

الأرض مملوءة بالعقائد والأديان، وبسبب من هذه العقائد وغيرها شهدت أوروبا حروباً لا نهاية لها، ثم أضيف لما تقدم المطامع التوسعية ومحاولة بناء إمبراطوريات جديدة، ومع كل ذلك يبقى «التخوف من الإسلام» لغزاً، فإذا ألحدت أوروبا وقبلت الزواج المثلي والزنى بالمحارم وانتشار الإيدز، كل ذلك لا يخيف الغرب ولا يحركه، ولكن الخوف من الإسلام هو الهاجس الأكبر، هل ذلك لحيويته وقبول الناس له أم لأسباب أخرى معلومة أو مجهولة؟

الأستاذ (رجب البنا) في كتابه الجيد «صناعة العداء» يحاول أن يجيب قائلاً[1]:

١- رؤية «الثقافة الإسلامية» على أنها متحجرة وترفض التغيير.

٢- الثقافة الإسلامية تختلف اختلافاً كبيراً عن الثقافات الأخرى.

٣- اعتبار الإسلام مصدر تهديد دائم.

٤- أنصار الإسلام يستخدمون عقيدتهم استخداماً سياسياً.

٥- رفض انتقادات المسلمين الموجهة للغرب وثقافته رفضاً لا شعورياً.

٦- الخوف من الإسلام والعداء العنصري تجاه هجرة المسلمين للغرب.

---

(١) صناعة العداء، ص (٦٢).

٧- اعتبار «الاسلاموفوبيا» ـ الخوف من الإسلام ـ أمراً طبيعياً، لكنه لا يمثل مشكلة.

يبقى السؤال: لماذا الخوف من الإسلام وحده، ولماذا كل هذا الهجوم عليه دون سواه؟

وهل يجرأ أحد أن يقول كلمة في العنصرية اليهودية مثلاً؟

الأكونوميست: المسلمون طيبون

مجلة الاكونوميست المعروفة كتبت تقريراً مطولاً عن المسلمين في الغرب جاء فيه[1]: المسلمون في عمومهم صالحون ويتبعون القوانين، ويتمسكون بقيم الأسرة، ويتلقى أبناؤهم تعليماً دينياً يكتسبون ثقة بأنفسهم، تساعد على التقدم، لكن الإسلام وبسبب عدم وجود سلطه دينية، قابل لاعتناق التطرف، مثل كثير من الأديان... أهـ.

الدين نصوص والإنسان يفهمها بحسب ثقافته، وقد يكون فهمه سليماً أو غير سليم، ويلاحظ أنه إذا ما ارتكب نصراني أو يهودي جناية لا يذكر دينه، فإن كان مسلماً ذكر الإسلام وجرى التشهير به، وهناك من «وكلاء الغرب» من يصب الزيت على النار. ويسر ويفرح لهذا التشنج!!

ممنوع التعاطف مع العرب

البروفيسور «جاك شاهين» أستاذ الاتصال الجماهيري بجامعة (ألينوي الجنوبية) وباحث في مؤسسة «فولبرايت» وله أكثر من (٣٠٠) مؤلف، الأستاذ جاك أمريكي؛ ولذا فهو غير متهم، يبحث على مدى (٢٠) سنة الأسباب الكامنه خلف كره العرب في المجتمع الأمريكي، فوجد جملة أسباب عد منها الجهل والتعصب وأخيراً الخوف من إبداء أي تعاطف؛ لأنه سيفسر فوراً بـ «معاداة السامية» وإسرائيل، وأن

(١) المرجع السابق، ص (١٠٠).

صاحبه موالٍ للعرب، وهي تهمة كفيلة بتهديد حياة المتهم، مع شيوع أن الإسلام دين غير عقلاني، ومعادي للعلم والتقدم والتحضر، والسياسيون يغذون ذلك كله[1].. أهـ.

هذه القصيدة العصماء في هجاء الإسلام والعرب، هل يجرأ أحد أن يقول مثلها في أحد غير العرب والإسلام؟

عمر الإسلام اليوم زاد على (١٤٠٠) عام، فكيف اكتشف الغرب عموماً والأمريكان خصوصاً هذا «المنجم» من الصفات القبيحة اليوم ولم يعرفوها من قبل؟

وأخيراً هل يمكن القول بأن الكلام صفة لقائله؟

عقلانية الإسلاميين

كتب «أوليفيه روا» كتاباً جيداً عنوانه «تجربة الإسلام السياسي»[2] ذكر فيه حقائق كثيرة منها أن قيادة الحركات الإسلامية بأيدي قادة تعلموا خارج بلادهم، وتحديداً في الغرب، وهم لا يتقيدون بالمفردات التي يستعملها علماء الدين، وفي أدبياتهم كافة تشديد على عقلانية الأحكام الدينية، ويصفها بكونها عقلانية مناضلة ويقول: هي علامة على قيام الحداثة في صلب الخطاب الإسلامي، والذي يندفع في عقلانيته اندفاعاً بعيداً... أهـ.

وملاحظات «روا» جديرة بالعناية، وهنا أذكر واقعة لعلامة الشام الشيخ حسن حبنكة الميداني، يقول: كان سائراً قريباً من جامعة دمشق حيث لفت نظره توجه الكثير مشياً باتجاه الجامعة، سأل عن السبب فقيل له: توجد محاضرة يلقيها شاب

(١) المرجع السابق، ص (١٢٥).

(٢) ترجمة نصير مروة، ونشرته دار السامي، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ص (٢٥).

اسمه (مصطفى السباعي) تحرك الشيخ بدافع المعرفة وجلس يستمع، ثم راح يقول لطلبته فيما بعد: هذا الشاب سيكون له مستقبل وهو يقول أشياء لا نحس مثلها.

مع هذه العقلانية فلدينا من أبنائنا من لا يعجبه العجب ولا الصيام في جمادى ورجب، فقد خلقهم الله تعالى ليكونوا (وكلاء) على الحداثة، والكثير منهم قد لا يكون قرأ عنها كتاباً، والويل لمن يعارضهم أو يخالفهم، فلديهم «كليشات» من مثل منغلق متشنج أصولي ظلامي، معادٍ للتحضر، ولا بأس من تكفيره وطنياً، ووجوب عزله وإقصائه، وإن تحننوا وتعطفوا عليه بوظيفة فليكن حفاراً للقبور مشتغلاً بدفن الموتى، فذلك كل ما يصلح له.

تقرأ صحفهم فتراها تعج بشتم الأمة ووصفها بالجمود والجحود، وأما تاريخها فأسود قبيح، ولغتها لا تصلح إلا لكتابة «نتف» من الفقه، والخلاصة كل ما لدينا قديم متعفن، قد تجاوزه الزمن، أما العلم والمعرفة فهناك خلف البحر وما علينا إلا الإسراع بجلبها وكفى.

حداثة الإخوة والأبناء التي يصفها د. برهان غليون الأستاذ السوري الأصل الفرنسي الجنسية، الذي يعلّم في جامعة السوربون بكونها (حداثة رثة) مثل الثوب الذي تقادم عليه الزمن، وكثر استعماله حتى (رث وبلي) وإن هذه الحداثة تسد علينا الأبواب، في السياسة والاقتصاد والثقافة والعلم والمعرفة والاجتماع والأخلاق، إذ تنتج قهراً وعنفاً واستبداداً، أكثر بكثير مما تنتج من حريات فكرية عملية، وهي تراكم الفقر والبطالة والبؤس أكثر مما تزيد من قدرة الأفراد على الاختيار في تحسين شروط حياتهم المادية والمعنوية، وهي تشجع عمليات غسل الدماغ وصب فكر الأفراد في قوالب جاهزة جامدة، أكثر مما تنمي العقل المفكر والمتأمل والمتسامح، وأخيراً فهي تعمم الإيديولوجيات والشعارات والأساطير الدعائية، أكثر مما تعمل في تكوين الأفراد وتأهيلهم أو صقل عقولهم وتزويدهم بالمعارف الحقيقية، وهي

تنتج الإمعية والتبعية والالتحاق والولاءات الزبونية والعصوبية، أكثر مما تقود إلى انبثاق الذوات الحرة والمسؤولة والفاعلة والمشاركة في تقرير مصيرها، وهي تبني السلوك على معايير القوة والغطرسة والانفراد والازدواجية وانعدام المسؤولية أكثر مما تصنع من قواعد أخلاقية وفق أسس طوعية مدنية... أهـ.

قصيدة هجاء قوية من إنسان خاب أمله، وأحبط غاية الإحباط من حداثة «مدجنة»؛ فالطفل المدلل يريد كل ما تقع عليه عيونه، فإذا لم يحصل على ذلك بكى وملأ البيت صراخاً حتى يحصل على ما يريد... رجال الحداثة الرثة عندنا، خليط عجيب لا يجمعهم جامع، فيهم بعض من رموز العشائرية، والطائفية، أما نرجسيتهم ففوق الوصف، وتطلعاتهم فوق إمكاناتهم، ولا يحسنون إلا النواح ولطم الخدود وشق الجيوب، وكلما دخلوا «انتخابات» خرجوا منها بلا (فول ولا حمُّص) فيزيدهم ذلك غضباً، حتى صاروا غرباء في بلدهم وبين أهليهم، أجسادهم هنا وعقولهم وقلوبهم تطوف حول أصنام بلندن وواشنطن، يتحدثون بلغة سمجة متعالية تتعالى منها رائحة «العفن» فيبتعد عنها الناس ويهربون... بعض الحكومات تدللهم خوفاً لكنهم اعتقدوا أن ذلك كان «عشقاً» لهم ولخطابهم، فزادوا صراخاً ووسعوا اتهاماتهم فخسروا الكل ولم يربحوا شيئاً... حتى السادة وراء البحار تعبوا من صراخهم، وغسلوا الأيدي والأرجل من نفعهم، رموزهم شاخت وأصيبت بتصلب العقول والشرايين، خطابهم «اجترازي» ليس فيه جديد، كلما سألتهم ماذا قدمتم صرخوا: الغرب عمل كذا وأمريكا فعلت كذا، ورحم الله ذلك البغل الذي سئل: من أبوك؟ فعزت عليه نفسه، فقال: خالي الحصان!!

نصيحتي لأهلنا من جيل «الحداثة الرثة» بطلوا الصراخ، واتركوا الشتائم، واقتربوا من أهلكم أو فارقونا، فعسى أن تجدوا من يرحب بكم هناك.

لقد صرتم غرباء المنطق واللسان، وصارت حالتكم ميؤوس منها فلماذا المكابرة، هل تتصورن أن «الصراخ» سيحل لكم ما أنتم فيه؟ هل تتصورون أن «السادة» وراء البحار سيهبون لإنقاذكم؟ لقد صرتم عبئاً على من يدللكم من الحكام ومن غيرهم، والإنسان قد يخادع غيره، لكن أن يخادع نفسه، فهذا نوع من جنون العظمة، وجل رموزكم اليوم يشكون من هذا «الجنون» نرجو ونأمل أن لا تأخذكم العزة بالإثم فتركبون رؤوسكم ويزداد صريخكم وصرير أسنانكم، وضرب الأقدام بالأرض والهتاف «نحن هنا» والويل لمن يتجاهلنا!!

أنتم اليوم كدواء انتهت منذ مدة صلاحيته، ولن يقبل عليه أحد بعد اليوم.

تقرير من هيئة الأمم عن العراق

أصدرت هيئة الأمم التقرير «الثالث» في شهر تشرين الأول عام (٢٠٠٤م) بعد تأخير طويل؛ لذا صدر في شهر نيسان عام (٢٠٠٥م) التقرير الذي يتحدث عن الأوضاع في العراق بشكل عام وحقوق الإنسان وما لحق بها وتطبيق اتفاقيات «جنيف».

١- القضية الأولى أن العراق خرج من تحت وطأة حكم مستبد، سبق له أن انتهك كافة حقوق الإنسان الأساسية والحريات، وبعد الاحتلال كان المتصور والمؤمل أن تنتهي هذه المعانات، لكن الذي حصل انتقال من سلطة مستبدة إلى سلطة احتلال أجنبي زاد من معاناة العراقيين، ففي ظل الاحتلال الجديد تدهور أمن المواطن العراقي، واستبيحت «حياته» مجدداً... الدراسة العلمية، تقدر أعداد الوفيات المرتبطة بالغزو والعنف المصاحب للاحتلال بـ (١٠) آلاف قتيل عراقي.

٢- بسبب فشل قوات الاحتلال في تنفيذ التزاماتها «كسلطة احتلال» وفق اتفاقيات (جنيف) لتوفير الأمن للمواطن، فقد شهد العراق انفلاتاً أمنياً غير مسبوق، وانتشر القتل والإرهاب في معظم أرجاء العراق، وطال القتل حتى المنظمات

الدولية والجمعيات الإنسانية، إضافة للمدنيين، وكان نصيب النساء الأكثر معاناة للخطف والاغتصاب داخل السجون وخارجها، ومن جنود الاحتلال وغيرهم.

٣- لقد تعرض الألوف للاعتقال والتعذيب، وعومل المعتقلون معاملة غير إنسانية وغير أخلاقية في مثل سجن أبي غريب وغيره من سجون الاحتلال مما شكل انتهاكاً لاتفاقيات جنيف.

٤- من جهة أخرى لم تنجح «سلطة الاحتلال» في توفير الخدمات الأساسية، بل لم تصل بعضها إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال، مثل: الكهرباء والماء والهاتف.

٥- من جهة الإعمار فإن سلطات الاحتلال لم تنفق «على الإعمار» حتى نهاية تشرين الأول (٢٠٠٤م) سوى مليار وثلث من الدولارات، من أصل ١٨,٤ مليار سبق أن خصصت من قبل «الكونجرس» لذلك... أهـ.

وبما أن الجديد في الأمر أن الجيش المحتل راح يقتل الألوف، ويعتقلهم دون تحقيق كما راح يضرب المدن بالطائرات، وإذا ما أطلقت نار على جندي من جنوده، فجيشه يفتح النار بكل الاتجاهات فيقتل كل موجود في المكان، وفي كثير من الأحيان قتل شرطة عراقية أو جنوداً عراقيين، ذنبهم أنهم وجدوا بالصدفة في المكان.

أما التعذيب فهو مستمر، وقد كشف أقله، وما زال الكثير يمارس وفي كل معتقل، سواء في معتقلات الحكومة العراقية أو معتقلات قوات الاحتلال... وهذه شهادة لممثل هيئة الأمم لحقوق الإنسان.

ممثل حقوق الإنسان: في العراق اعتقالات وتعذيب

«جياني ماغازيني»[1] رئيس مكتب حقوق الإنسان، التابع للأمم المتحدة في العراق... (جياني) صرح إن القوات المتعددة الجنسيات كانت تحتجز (١٤,٢٢٢) معتقلاً

(١) صحيفة الحياة في ١٤٢٧/٣/٢٤هـ.

في نهاية شباط (٢٠٠٦م)، أما القوات العراقية فتعتقل حالياً أكثر من (١٥) ألف، وهؤلاء يحتجزهم مسؤولون آخرون - غير وزارة العدل - هما وزارتا الداخلية والدفاع.

ويقول جياني: نحن قلقون جداً نظراً للانتهاكات المتواصلة والتعذيب والقتل السريع، وهو ما يحدث يومياً في العراق.

إن المكتب لحقوق الإنسان يتلقى يومياً تقارير تؤكد حصول الكثير من الهجمات لفرق «الموت والميليشيات» التي يرتدي أفرادها زي الشرطة. إن وضع حقوق الإنسان في تدهور كبير منذ تفجيرات «سامواء» في ٢٠٠٦/٢/٢٢م والتوتر المذهبي في تزايد كذلك الهجمات الإنتقامية ضد «مساجد السنة» وشخصيات سنية في العراق.. أهـ.

أحسب أن هذه الشهادة يصعب الطعن فيها، فما جواب من طالتهم هذه الشهادة؟

وما جواب وكلاء أمريكا؟

الانحياز الأمريكي والمصلحة

نسمع يومياً: لا توجد صداقات دائمة، ولا عداوات دائمة، بل توجد مصلحة دائمة، لكن الواقع لا يصدق هذا، فأمريكا بانحيازها التام تتجاهل كل مصالحها، بينما كانت حتى الأمس القريب تقول على لسان وكيل لوزارة الخارجية: ما النفع والفائدة إذا كنا نخسر صداقة العرب والمسلمين، ونكسب صداقة إسرائيل فقط، هذه ليست سياسة ولا مصلحة... قيل هذا بعد مبادرة «روجز» في السبعينيات، التي قبلها عبدالناصر ورفضتها إسرائيل... الجديد في القضية أن «ايمانويل تود» يعيد طرح القضية بكل تناقضاتها، ويحاول أن يفسر هذه العلاقة التي تشبه «العشق الصوفي» غرام وهيام، ولو كانت النتائج «كارثة» والسؤال أين المصلحة؟

(تود) الشجاع يقرر[1]: إن الأمر غريب أن يرى الإنسان أهمية العلاقة مع إسرائيل إلى جانب «علاقة معادية شاملة لأمريكا مع العالم العربي» وبصورة أوسع مع العالم الإسلامي.

ويقرر «تود» أن من الصعب فهم «عقلانية» هذه العلاقة ومنفعتها، ويذكر أن أطروحة «التعاون الضروري بين الديمقراطيات» غير مقنعة، فالظلم الذي يرتكب ضد الفلسطينيين يومياً -من طرف الاحتلال الإسرائيلي- وعلى الأخص لما تبقى لهم من الأرض، هذا الظلم بحد ذاته يشكل «نفياً» لمبدأ المساواة الذي هو أساس الديمقراطية، وعلى وجه الخصوص الديمقراطيات الأوروبية، التي لا تحمل إسرائيل التعاطف، كما تفعل أمريكا.

فهل تشكل «المنفعة العسكرية» التي يقدمها الجيش الإسرائيلي تفسيراً أكثر؟ بداية، فالقوات الأمريكية البرية البطيئة الحركة التي تئن من حمل الخسائر بالأرواح يستدعي بصورة متزايدة الاستخدام المنهجي للقوات الحليفة، أو حتى المرتزقة في العمليات على الأرض، ونتيجة الإرهاق الذي تجلبه الرغبة في السيطرة على (ربع النفط) فإن الحكام الأمريكان لا يجرؤون على التخلي عن الدعم الإقليمي، الذي يقدمه الجيش الإسرائيلي، الذي يعتبر أقوى جيوش المنطقة... أهـ.

والسؤال: هل هذا يمكن أن يفسر الانحياز المطلق والأعمى، وتجاهل كل المصالح القريبة والبعيدة، وعدم الاهتمام بالموقف العربي والإسلامي؟

أحسب أن كل ما ذكر لا يبرر هذا الانحياز، الذي تجاوز كل ما سبق في السياسة الأمريكية حتى حق قول وكيل الوزارة الأمريكية (هذه إذن ليست سياسة ولا مصلحة)، نعم ليست سياسة ولا تحقق لأهلها المصلحة.

---

(١) ما بعد الإمبراطورية، ص (١٣٧).

إن «إيمانويل تود» يؤرقه هذا الانحياز الكلي؛ لذا فهو يطرحه أكثر من مرة، في محاولة للوصول إلى تفسير مقبول عقلاً، فما تفسيره الجديد؟

لماذا التركيز على العالم الإسلامي وضده

بالأمس القريب كان الاتحاد السوفيتي هو العدو اللدود، والشيطان الذي على أمريكا منازلته وإلحاق الهزيمة به، وفجأة أصيب العملاق «بجلطة» في الرأس والقلب، ومات بالسكتة القلبية.

وتوجب على صناع السياسة البحث عن عدو «يشكل» فزاعة لتخويف الشعب الأمريكي، وكي «يروض» على قول «نعم».

«تود»[1] يقرر أن القسم الأعظم من النشاط العسكري الأمريكي سيتركز مستقبلاً على «العالم الإسلامي»، وليكن تحت شعار «الحرب على الإرهاب»، وهو الشكل الرسمي الجديد للعسكرية في المسرحية الصغيرة، وخلف هذا التوجه تقوم أو تقف ثلاثة عوامل، يمكن أن يفسر بها هذا التركيز، والذي يستهدف محاربة هذه (الديانة)، وتصويرها بمثابة «خطر استراتيجي» للفترة المقبلة، ويعود ذلك لتراجع حاصل في أحد الموارد للإمبريالية الأمريكية، في مجالات الإيديوجية والاقتصاد والعسكرية وهي:

١- إن التراجع في الإيديوجية العمومية، وظهور عدم تسامح فيما يتعلق بقضية المرأة في العالم الإسلامي.

٢- إن الهبوط في الفاعلية الاقتصادية يؤدي إلى تركيز التفكير الاستراتيجي الأميركي على النفط العربي.

---

(١) المرجع السابق، ص (١٥٧).

٣- إن ضعف العالم الإسلامي «عسكرياً» يجعله هدفاً سهلاً، بل مفضلاً على غيره.

ثلاثة عوامل مختلفة دفعت بأمريكا تجاه العالم العربي والإسلامي، وجعله كهدف مفضل... نعم هذا ممكن، لكن لا يكفي لفهم «الانحياز الأعمى» وتجاهل المصلحة، فهذه العوامل قد تشارك فيها أمم ودول خارج العالم الإسلامي، لكن لم يحصل الانحياز ضدها كما يحصل في العالم العربي والإسلامي!!

(تود) لا يمل دراسة القضية وإيجاد تفسير مقبول عقلياً؛ لذا نراه يبحث كل زوايا المسألة عساه يجد سبباً.. معقولاً ومقبولاً وهنا طرح سبباً (شبه جديد).

ضرب الضعفاء لتخويف الأقوياء

سياسة اختطها «عنتر بن شداد» حين قال: أضرب الضعيف ضربة يطير لها ومنها قلب القوي.

هذه السياسة «العنترية» يرى «تود» أن أمريكا تبنتها؛ لذا فهو يقول[1]: نظراً لعدم قدرة أمريكا على السيطرة على (القوى الحقيقة)، أي حبس اليابان وأوروبا في حدود المجال الصناعي، وقهر روسيا نووياً، هنا اضطرت أمريكا - بهدف أن تظهر على المسرح كإمبراطورية - إلى أن تختار ممارسة الضغوط العسكرية والدبلوماسية في عالم الضعفاء «في محور الشر» والعالم العربي، أي المنطقتين اللتين يحتل فيهما العراق نقطة التقاطع، ويقع العمل العسكري، إذا أخذنا في الاعتبار مستوى قوته ومجازفته، في مكان ما بين الحرب الحقيقية ولعبة «الفديو»، حيث تفرض الولايات المتحدة الحظر على بلاد لا تستطيع الدفاع عن نفسها، بينما تقصف جيوشاً «لا وزن لها» زاعمة إنتاج أسلحة أكثر تقدماً، وتقنية لها دقة «ألعاب الفديو» ولكنها في

(١) المرجع السابق، ص (٢١٤).

الواقع تقصف بالمدافع الثقيلة مدنيين، غير مسلحين، أما مستوى (المجازفة) فهو ضعيف بالنسبة إلى الجيش الأمريكي، لكنه ليس (صفراً) بالنسبة للشعب الأمريكي، تولد في المناطق والدول الرازحة تحت السيطرة، أعمالاً إرهابية، كان أكثرها نجاحاً (اعتداء (١١) سبتمبر)... أهـ.

محاولة من «تود» لتفسير سياسة بلاده تجاه الضعفاء، مع الهرب من مواجهة الأقوياء، لكن الذي يحتاج لجهد أكبر، في العالم اليوم أكثر من (٢٠٠) دولة، الصغيرة تحوي بضعة آلاف والكبيرة تحوي ملياراً وثلث، لكن المستهدف دولاً معينة، والانحياز الكامل ضد دول معينة، والمطلوب الحصول على تفسير لهذا «اللغز».

لماذا كل هذا «العشق» لإسرائيل ولكل ما تقوم به من حرب إبادة، وخروج على كل المعاهدات والقرارات الدولية، بينما يحاسب البعض ويهدد للاعتقاد بأنه لديه نية بفعل شيء، إسرائيل تفعل كل ما تريد، تكدس الأسلحة النووية وغيرها، كوريا الشمالية تعلن عن نشاطها النووي يومياً، لكن التهديد من نصيب إيران فقط، هل ما زال أبي لا يقدر إلا على أمي؟

أم هناك خبايا وخفايا لا نعرفها، ويتكتم عليها العالم؟

أليس من حق العالم أن يطالب بنوع من المساواة ولو في (الظلم) بعد أن يئس العالم من المساواة في (العدل)؟

أليس من حقنا أن نتساءل مثلاً: لماذا ينكر علينا أن نقاطع بضائع تجارية، بينما تحاصر أمريكا دولة صغيرة فقيرة مثل كوبا منذ أكثر من أربعة عقود؟

كيف نفهم تجويع الشعب الفلسطيني كي تسقط حكومة «حماس» بينما الحاخامات وعلى رؤوسهم الطاقية اليهودية يحكمون إسرائيل منذ أكثر من عقد؟

وأخيراً لماذا يقبل من إسرائيل كل شيء من قتل وخطف وضرب للمدن

الفلسطينية بكل أنواع الأسلحة، ويستنكر كل رد فعل من الشعب الفلسطيني ولو كان متمثلاً برمي حجارة؟

لماذا كل هذا الاهتمام بما يحدث في «دارفور» والسكوت عما يحدث في فلسطين أو العراق أو الشيشان أو كشمير؟

هل لأن في دارفور «يورانيوم» جيد؟ وفي تشاد مثله؟

وسؤال أخير: هل من ينحاز هذا الانحياز الأعمى جدير بقيادة العالم؟

من يطبق القرارات ومن يحتقرها

حين يختل النظر يرى الإنسان الأشياء على غير حقيقتها، وحين يمرض الإنسان قد يرى الطعام على غير ما هو عليه، وحين يختل «ميزان العدل» تضيع الحقيقة فيفلت الجاني ويعاقب البريء؛ لذا رأينا الأديان كلها تشدد على العدل وتأمر به، في كل الأحوال، حتى نقل عن رسول الله ﷺ في الحديث القدسي: «**ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا**».

لكن انتشار الظلم وتقلص دائرة العدل يجعل الحياة صعبة بل شاقة مريرة، خصوصاً حين ينصب الظلم على شعب، فيصاب بالإحباط، يلتفت يمنة ويسرة علّه يجد من يواسيه أو ينقذه، وقد ينفجر فيرتكب من الظلم والحماقات، مثل ما حل به أو أكثر.

«إدوارد جاليانو» يسجل ظاهرة من ظواهر الخلل الكبرى في عالم اليوم وما أكثرها وأكبرها فيقول[1]: تجاهل العراق ـ على عهد صدام ـ (١٧) قراراً من قرارات هيئة الأمم المتحدة.... وتجاهلت إسرائيل (٦٤) قراراً وتساءل هل سيقصف «بوش» حليفه الإسرائيلي؟

(١) شبكة العالم (محيط).

ثم يتساءل أخيراً: من باع العراق المواد الأولية لصنع الغازات، ومن باعه المروحيات وغيرها؟

ويذكر «جاليانو» أن أمريكا أكبر صانع وبائع للأسلحة في العالم، وهي الأمة التي ألقت القنابل الذرية على «مدنيين» وهي تخوض حروباً مستمرة، فمن يهدد سلام العالم؟

هل هو العراق حقاً؟... أهـ.

أم أفغانستان أم السودان أم من؟

قوات خاصة لنشر الموت والذعر

أمريكا لم تجد في العالم من تقلده سوى إسرائيل، ففرق الموت الإسرائيلية تقتل يومياً من تشاء، تعتقل من تشاء، تفجر البيوت على ساكنيها، هذا المعروف والخافي أكبر وأعظم... أما ما فعلته في لبنان فيذكِّر فقط بهولاكو ومذابح التتر!!

القوات الأمريكية تعلمت هذا (الدرس الحضاري العظيم)، وربما زادت فيه وعليه، (جميل مطر)[1] يتحدث عن الإمبراطورية الأمريكية، وتعويلها على «قوات خاصة» غير القوات النظامية، لقد ربط وزير الدفاع الأمريكي هذه القوات به مباشرة، الصحفي الأمريكي «كابلان» يدرس جدوى القوات «الخاصة» ومدى فاعليتها فيرى أن (٥٥) فرداً من هذه القوات الخاصة، ـ والتي لا يقيدها نظام ـ حققت إنجازات في (السلفادور)، أكثر مما حققه (٥٥٠) ألفاً من جنود نظاميين أمريكيين في «فيتنام»، (كابلان) يتحدث عن القوات الخاصة، وعن سلوكهم (الحضاري العظيم)، فهم لا يلبسون ملابس الجيش، ويطلقون لحاهم وشعورهم كما

(١) صحيفة الحياة، ٢٠٠٥/١٠/٢٤م .

يحبون، يمارسون من العنف والتعذيب المتوحش ما يحلوا لهم، مثلهم الأعلى «رامبو» المقاتل المتوحش، الذي لا يتقيد بأخلاق الحرب أو السلم، أو أية قواعد للسلوك العسكري... أهـ.

إن هذه القوات بهذه الحرية التي تملكها، والانفلات من كل حساب وعقاب، تحدث من الأذى والضرر ما يفوق الأعاصير والزلازل والبراكين والإيدز!!

نعوم تشومسكى: أمريكا وإسرائيل إرهابيتان

د. نعوم تشومكى اليهودي الأمريكي لا يكل ولا يمل من مهاجمة أمريكا وإسرائيل، فهو الناقد الشجاع الذي لا يخاف... صحيفة (يدعون أحرنوت) الإسرائيلية أجرت معه مقابلة طويلة ابتدأتها من اختيار مجلة «بروسبيكت» البريطانية للدكتور نعوم باعتباره «أكبر مثقف في عصرنا» بعد (١١) عاماً على تتويجه في «نيويورك تايمز» باعتباره: أهم مثقف حي في عصرنا.

يديعون أفردت ثلاث صفحات وقالت: إن البروفيسور اليهودي الأعظم في هذا العصر لم يتغير، ونظرته لليهود لم تتبدل، وأن السياسة الإسرائيلية مثل السياسة الأمريكية «الوصية عليها» هي سياسة (إرهاب).

ومثَّل للإرهاب الإسرائيلي بضرب مدينته غزة بقنابل زنة «طن» لتقتل (١٥) مدنياً فلسطينياً دفعة واحدة.

يضيف الدكتور[1]: إن المحكمة العليا في إسرائيل - مثل الولايات المتحدة - تحصر الإرهاب في العمليات المنفذة ضد إسرائيل فقط، متجاهلة حقيقة أن الاحتلال الإسرائيلي المتواصل والمتصف دوماً «بالوحشية».

---

(١) صحيفة الحياة، ٢٠٠٥/١١/٢م.

إن سياسة إسرائيل عموماً، وشارون خصوصاً تستهدف عملياً طرد الفلسطينيين، بعيداً عن أرضهم الجيدة، للسيطرة عليها.

أما هدف إقامة «الجدار» فهو خنق المدن الفلسطينية، وتحويلها إلى جزر معزولة، والدفع بالفلسطينيين نحو الهجرة.

وختم المقابلة بقوله سياسة أمريكا (إرهابية) وكذلك السياسة الإسرائيلية... أهـ.

مع كل هذه الحقائق المرة، فإن أمريكا وإسرائيل من أكثر دول العالم سباً وشتماً واستنكاراً «للإرهاب» والأكثر ممارسة له والتنعم «بطيباته» وبركاته!! وقديماً قيل: (ومن الحب ما قتل)!!.

في أمريكا جهات كثيرة، منها شركات أكبر من كثير من الدول، ولوبيات تضغط ليل نهار، وملايين تُنفق سراً وعلانية، عقال ومجانين ومهوسون كل يغني على (ليلاه) وكل يطمع أن تسيطر أمريكا على العالم، ليأخذ نصيبه بالحق أو الباطل، من هنا فكل من يبحث في الحرب العراقية يتجه نحو سبب يعتبره الأساس في العملية وينسى أو يتجاهل ما سواه، لكن يوجد لدى الكافة «بند» يصعب تجاهله والقفز فوقه هو «الذهب الأسود» فلولاه ولولا الأساطير والخرافات لأمكن ترك العراق كما يترك العشرات من دول العالم، دون أن يهتم بأمرها أحد، فإذا كان العالم لا يهمه أمر الأسلحة ذات الدمار الشامل أو ربع الشامل، فهذه الأسلحة موجودة هنا وهناك وضبطها والقضاء على أهلها ليس من هموم «الكبار» لكن (الذهب الأسود) مما يسيل له لعاب الكبار، وربما أثر على تفكيرهم وقدراتهم، وهكذا يصير (الذهب الأسود) مصدر نعمة؛ لأنه يجلب المال الكثير، ومصدر نقمة، لأنه يجلب التدخل ويستقطب «الكبار».

الصحافي العربي المصري «إبراهيم نافع» يتحدث في كتابه الجيد (جنون الخطر الأخضر)[1] عن قضية غزو العراق، والدافع الأكبر لهذا الغزو، يبدأ حديثه مستشهداً باستقالة وزير الخزانة «بول أونيل» الذي قدم استقالته احتجاجاً على غزو العراق والذي لم يفعل ذلك وربما لن يفعل ذلك وزير (عربي) يوماً من الأيام!!

الوزير المستقيل يؤكد قضية صارت معروفة من أن الرئيس (بوش الإبن) منذ أول وصوله لسدة الرئاسة، راح يبحث عن مبرر لغزو العراق، وقد أصدر الوزير المستقيل كتاباً أسماه (ثمن الولاء)، أعد الكتاب وجهزه مراسل صحفي معروف اسمه «رون ساسكيند»، ومما ذكر: توجد مذكرة سرية تحت عنوان (خطة العراق بعد صدام)، كما توجد وثيقة لوزارة الدفاع الأمريكية عنوانها (الساعون الأجانب لعقود حقول البترول) تشير إلى أن الوزارة بحثت مبكراً عملية توزيع احتياطي البترول العراقي على الشركات البترولية، وجرى تحديد مناطق الاستكشاف بالإضافة إلى أسماء متعاقدين في (٣٠ أو ٤٠) دولة ونياتهم بشأن الاستثمار في البترول العراقي... أهـ .

من المعلوم أن الأمريكان تفاوضوا طويلاً مع «صدام» حول نفط «مجنون» القريب من مدينة العمارة، وهو نفط خفيف جيد قريب جداً من مياه الخليج، وله ميزة فهو على مرمى حجر من الحدود الإيرانية، وتم التفاهم على كل التفاصيل، لكن صدام أثارته قضية (يجب أن لا يكون بين العاملين في الشركة «يهود») وهو شرط يمكن أن تقبله أي شركة إلا الشركات الأمريكية والحكومة الأمريكية، بل قد أذهب لأبعد من ذلك فأقول يمكن جعل الشرط أن لا يعمل في الشركة أمريكان بحجة أو بأخرى فتقبل أمريكا هذا الشرط وتسوقه داخلياً، أما استبعاد اليهود فهذا الشرط لن تبلعه أمريكا ولن تستطيع ولو أرادت ذلك، فقوة اللوبي اليهودي في

(١) جنون الخطر الأخضر، طبعة أولى لعام ٢٠٠٤م، ص (١٠).

أمريكا جعلت بعض الظرفاء يقول: لو صدر رأي في إسرائيل أن الأرض مسطحة وليست كروية، فإن الكونجرس سيجتمع خلال (٢٤) ساعة وليصدر بياناً حول كون الأرض مسطحة.

صحفي أمريكي يتحدث عن الرؤساء في أمريكا وطلب تحديد تصريحات الرؤساء مربوطة بالزمن، كأن يقول صرح الرئيس بوش الساعة الثامنة صباحاً بكذا لأنه سيغير رأيه ويسحب تصريحه إذا اعترض اليهود أو إسرائيل.

أضيف لما تقدم أن العراق «يضخ» نفطه بواسطة أنابيب يمر بعضها من خلال (عداد) وبعضها دون عداد، لتسير العملية وفق «قانون العشائر» هذا إذا لم تكن اليوم ثمة أنابيب تتبع مليشيات أو أحزاب، ليس لأحد سلطة عليها.

أمر أخير أتنبأ به: فإذا أقيمت فيدرالية في جنوب العراق، فسيتحول نفط البصرة والعمارة إلى «كارثة»، فكل حزب متسلط وكل مليشية تحمل السلاح سيكون لها أنبوب نفط مستقل، وهكذا ستشتعل معارك لا نهاية لها، ولكن بين أبناء الطائفة الواحدة، وربما دخلت «مراجع» على الخط، ويستر الله من بركات «الفيدرالية» الظاهر منها والباطن، المنفوط وغير المنفوط.

عندها سيحمد الله البعض لعدم وجود فيدرالية منفوطة لديه!!

بوش وصدام: الخطر على العالم

يتوجه من كندا - الحليف الأول لأمريكا - فريق من متطوعين إلى الولايات المتحدة الأمريكية للبحث عن «أسلحة الدمار الشامل»، يقود الفريق عضوة البرلمان الكندي (ببي ديفيد)[1] وهي عضوة في الحزب الديمقراطي الجديد، وقد أصدرت

(١) المرجع السابق، ص (٩٩).

«النائبة» بياناً جاء فيه: إن الرئيس بوش يمثل خطراً على العالم، يماثل الخطر الذي مثله «صدام حسين».

الفريق الكندي يهدف أولاً وبالذات لكشف نفاق الرئيس بوش، فواشنطن تواجه التهم نفسها الموجهة ببغداد... أهـ.

والسؤال: إذا كان موقف الأشقاء والحلفاء، فما هو موقف الأعداء؟

الإرهاب وأهله

الصحفي العربي «إبراهيم نافع» قام بعملية «جرد» بسيطة على من يمارس الإرهاب يومياً ضدنا فسجل (١٦) واقعة معروفة ليس بينها واقعة سرية وهي:

١- من أسقط الطائرات الليبية عام ١٩٨١م.

٢- من قصف بيروت في السنوات ١٩٨٣، ١٩٨٤، وأزيد وحرب لبنان عام ٢٠٠٦م.

٣- من قصف ليبيا عام ١٩٨٦م.

٤- من قصف السفينة الأمريكية «ليبرتي» عام ١٩٦٧م.

٥- من قصف وأسقط وأغرق السفينة الإيرانية عام ١٩٨٧م.

٦- من قصف وأسقط الطائرة الإيرانية عام ١٩٨٨م.

٧- من أسقط الطائرتين الليبيتين عام ١٩٨٩م.

٨- من كان يقصف العراق ابتداء من عام ١٩٩١م حتى سقوط بغداد.

٩- من فرض الحصار على العراق (١٣) سنة.

١٠- من قصف مصنع الأدوية السودانية ودمره كلياً.

١١- من قصف أفغانستان بالصواريخ عام ١٩٩٨م.

١٢- من يقوم بتعذيب الأفغانيين والعراقيين يومياً.

١٣- من قام بمذبحة قانا عام ١٩٩٦م في لبنان، وقانا عام ٢٠٠٦م.

١٤- من يخطف الناس وينقلهم إلى سجون سرية في العالم؟

١٥- من خطف الناس ونقلهم إلى غوانتنامو ويعذبهم؟

١٦- من يشجع إسرائيل على قتل الفلسطينيين واعتقالهم يومياً... أهـ.

هذه القائمة تخصنا فقط، ومنذ سنوات قليلة، ولو كان لهيئة الأمم من الشجاعة بحيث كلفت لجنة بدراسة الإرهاب وتحديد هذا المصطلح بدقة، وإجراء جرد بما يحصل في كافة القارات، فمن سيكون الإرهابي رقم واحد؟

لماذا يكرهوننا

سؤال تكرر طرحه من أكثر من رئيس أمريكي، آخرهم «بوش» الابن، ولأن الناس لا يحبون عبثاً ولا يكرهون عبثاً، فقد استفز السؤال الكاتب المصري «إبراهيم نافع» فتطوع بالجواب، وليحشد جملة أسباب لهذا الفقدان للمحبة، وأولها وأكبرها الانحياز الأمريكي التام لإسرائيل وتبرير كل فعل وجريمة تمارسها، والقضية الأخرى تتمثل بهذا العطاء والإغراق على الشعب الإسرائيلي، يقابله النهب لما نملك، وأخيراً مناصرة إسرائيل في كل جهد علمي أو حربي أو تجسسي ضدنا، في حين تقف أمريكا ضد كل طموح لنا. والقضية الأكبر تتمثل بشل هيئة الأمم ومجلس الأمن من أن يتخذ قراراً لمصلحتنا، واستعمال الفيتو الأمريكي لمنع أي إدانة لإسرائيل؛ مما

جعلها تشعر بالحماية ولا تخاف من أي جرم ترتكبه ضدنا، وقد استعرض الأستاذ (نافع) العشرات من العينات التي تصب في هذا الاتجاه مثل[1]:

١- القرار ١١٣ج/٣٣ والمتعلق بإدانة سياسة إسرائيل في فلسطين المحتلة، عارضته أمريكا وإسرائيل.

٢- القرار ٣٣/١٣٦ والمتعلق بإدانة سياسة إسرائيل في فلسطين المحتلة، عارضته أمريكا وإسرائيل.

٣- القرار ٣٤/٥٨٣ المتعلق بعودة الفلسطينيين، عارضته أمريكا وإسرائيل (علماً بأن قبول إسرائيل في هيئة الأمم اشترط السماح بعودة الفلسطينيين).

٤- القرار ٣٤/٥٩٣ الذي يطالب إسرائيل بالتوقف عن انتهاك حقوق الإنسان عارضته أمريكا وإسرائيل.

٥- القرار ٣٤/١١٣ يطالب بإعداد تقرير عن أحوال الفلسطينيين المعيشية في الأراضي المحتلة، عارضته أمريكا وإسرائيل.

٦- القرار ٣٤/١٥٨ المتعلق بالسيادة على الموارد الوطنية في الأراضي المحتلة عارضته أمريكا وإسرائيل.

٧- القرار ٣٤/١٩٩ المتعلق باشتراك المرأة الفلسطينية في أعمال مؤتمر الأمم المتحدة ـ المعني بالمرأة ـ عارضته أمريكا وإسرائيل.

٨- القرار ٣٥/٥٧ المتعلق بمطالبة إسرائيل بالسماح بعودة النازحين الفلسطينيين عارضته أمريكا وإسرائيل.

---

(١) المرجع السابق، ص (٢٠٨) .

٩- القرار ٣٥/١٣٦ المتعلق بحقوق الإنسان الفلسطيني عارضته أمريكا وإسرائيل ومثله القرار ٣٥/١٧٤ كذلك.

١٠- القرار ٣٦/١٨ والمتعلق بالحفريات في القدس ووجوب التوقف كذلك.

١١- القرار ٩٢ى/٣٦ حول إنشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية كذلك.

١٢- القرار ١٢٠ب/٣٦، ١٢٠هـ/٣٦ والمتعلق بحقوق الفلسطينيين كذلك.

١٣- القرار ٣٦/١٣٣ المتعلق بالوضع الخاص للقدس عارضته أمريكا وإسرائيل.

١٤- القرار ٣٦/١٤٦ المتعلق باللاجئين في غزة عارضته أمريكا وإسرائيل.

١٥- القرار ١٤٦ز/٣٦ المتعلق بالإيرادات الفلسطينية عارضته أمريكا وإسرائيل.

١٦- القرار ١٤٩ب/٣٦ المتعلق بغلق الجامعات في فلسطين عارضته أمريكا وإسرائيل.

١٧- القرار ٢٣٤ب/٣٦ المتعلق بالقانون الإسرائيلي، لا ينطبق على الجولان عارضته أمريكا وإسرائيل.

١٨- القرار ٣٩/١٤ والمتعلق بالتعاون بين جامعة الدول العربية والأمم المتحدة عارضته أمريكا وإسرائيل.

١٩- القرار ٢٩/٢١ المتعلق بإدانة الهجوم على مفاعل (تموز) عارضته أمريكا وإسرائيل.

٢٠- القرار ٩٥د/٣٩ حول انتهاك حقوق الإنسان الفلسطيني عارضته أمريكا وإسرائيل.

٢١- القرار ٣٩/١٤٧ والمتعلق بإدانة اغتيال العمد الفلسطيين عارضته أمريكا وإسرائيل.

٢٢- القرار ٣٩/٢٣٢ المتعلق بتقديم مساعدات اقتصادية للفلسطينيين عارضته أمريكا وإسرائيل.

٢٣- عام ١٩٨٥ قصفت إسرائيل مقر منظمة التحرير في تونس فتم قتل (٦٢) شخصاً فعلق الرئيس الأمريكي: بأن للهجوم ما يبرره.

إلى العشرات من القرارات ترفضها أمريكا وإسرائيل، ومع ذلك يتساءل رؤساء في الولايات المتحدة: لماذا لا نحبهم، ولماذا لا نموت بحبهم، ونحن نموت يومياً بسلاحهم ودولارهم وفيتوهم!

إن «العهر الإسرائيلي» لم يكن ليوجد لولا الدعم الأمريكي، ومع ذلك فالمطلوب أن نعشق أمريكا وإسرائيل وإلا فنحن إرهابيون متعصبون عنصريون، معادون للحضارة... ونسيت حقوق الإنسان والذباب والبعوض والجرذان.

عندما يستقيل ممثل حقوق الإنسان

نظراً لما يلاقيه الفرد الفلسطيني من قتل واضطهاد وطرد وسجن وتعذيب على أيدي القوات الإسرائيلية؛ لذا فقد عينت الأمم المتحدة مراقباً لحقوق الإنسان في فلسطين، المراقب سويسري الجنسية اسمه «رينيه فلير»؛ ولأن الرجل رأى ما تشيب له الرؤوس فقد استقال وكتب: إن مهمتي كمبعوث خاص لحقوق الإنسان يجب أن تلغى، لأنني لا أستطيع تغيير السياسة الإسرائيلية، إذ هي تقوم على الإساءة لكل فلسطيني؛ لذا أتقدم باستقالتي وأعود لبلدي.

هذه الاستقالة طويت ولم يسمع بها الكثير، ولم يذكرها أحد، لماذا؟

فإذا أضفنا لذلك ما تفعله القوات الأمريكية من قتل وتعذيب وطائرات تحمل مخطوفين وسجون علنية وسرية، وتعذيب لأهلها، ترفض أمريكا وإسرائيل أن تزورها جماعات من الصليب الأحمر أو هيئة الأمم، ثم يطلب منا بكل لطف وأدب

أن نهيم بأمريكا ونعشق إسرائيل وإلا ففي سلوكنا «بربرية» وفي عقولنا انحراف أو عته أو جنون... كجنون البقر!

إن الذي يصيبنا من أمريكا وإسرائيل، لو وقع على جبل لانهد أو انفجر، ومع ذلك فالمطلوب أن نعشق الموت اليومي والذل اليومي والقهر اليومي وإلا...

إن «القط» تضعه على حجرك، وتتلمس رأسه وبدنه، فيتحول إلى ألطف حيوان؛ فإذا ضربته أو رفعت العصا في وجهه تحول إلى أسد، وأبرز مخالبه وصرخ في وجهك، فهل يراد منا أن نكون أقل «حمية وثورة» من القط؟

إن الإهانات التي تصلنا من أمريكا وإسرائيل كموج البحر، القادم منها أكثر من الذاهب، ومع ذلك مطلوب منا أن نعشق!

وشهد شاهد من أهلها

ما نسطره عن السلوك الحضاري «العظيم» لأمريكا وإسرائيل، ربما نتهم بالعداء؛ لذا سوف أستدعي للشهادة بعض أبناء (الغرب) غير المتهمين، وأولهم الرئيس الأمريكي الأسبق «نيكسون» والمستشار السابق للأمن القومي «بريجنسكي» و«روني برومان» الأستاذ بكلية العلوم السياسية بباريس، والكاتب الألماني المعروف «لودفيج امان» وكلهم من «الطينة» وليس فيهم مسلم ولا إرهابي ولا عنصري؛ فعسى أن تكون شهادتهم مقبولة، غير مطعون بها، ولو في نظر (بني علمان).

- البروفيسور «روبرت كراين» مستشار الرئيس الأمريكي «نيكسون» ومؤسس مركز الحضارة والتجديد بأمريكا يقول[1]: إن الرئيس نيكسون ذكر أن الولايات المتحدة قد تكون غنية، ولكننا فقراء روحياً، أما التربية والتعليم فرديئان، والجريمة تزيد، والعنف في تصاعد، والانقسامات العرقية في تكاثر، الفقر يستشري،

(١) جنون الخطر الأخضر ، إبراهيم نافع، ص (٢٢١).

والمخدرات في انتشار، والثقافة في وسائل التسلية في انحدار، أما تأدية الواجب المدني ففي هبوط، والفراغ الروحي في انتشار، وكل ما تقدم أسهم في «تغريب» الأمريكيين عن بلادهم ودينهم وعن بعضهم... أهـ.

هل يكفي هذا «الموشح» أم لا؟

- المستشار بريجنسكي - مستشار الرئيس كارتر - رجل مثقف له أكثر من كتاب يكتب في الصحف، ولعل آخر ما طرحه ما يعرف بـ «عقيدة بريجنسكي»؛ فالرجل يؤمن بأن المجتمع المنغمس في «الشهوات» لا يستطيع أن يسن قانوناً أخلاقياً للعالم، كذلك فإن أية حضارة لا تستطيع تقديم قيادة «أخلاقية» فسوف تتلاشى... أهـ

موشح آخر، متطلبات القيادة للعالم تتطلب «العفة» فمن ينغمس في الشهوات ويرتكب المظالم يومياً، ويناصر الظلم ويتاجر بالحروب، يصلح لتربية (الخنازير) لكنه لا يصلح لقيادة العالم، هل يكفي؟

- الأستاذ «روني برومان» يرى أن إسرائيل الأكبر خطراً على العالم من العراق، وفقاً للمعايير الأمريكية، إذ تمتلك أسلحة دمار شامل، وتعمل على نشر الاضطرابات في المنطقة، وتقود سلسلة من أعمال العنف... أهـ.

هل يكفي هذا؟

- الكاتب الألماني «لودفيج امان» يؤكد - دون ملل - أن معاداة السامية في الغرب تحولت إلى معاداة «الإسلام» وشن حرب على دين بأكمله، وعلى طاقة المؤمنين به... أهـ.

هذه شهادات وردت بكتاب الأستاذ (إبراهيم نافع) على الصفحات (٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٣٠).

وأقول: لهذه الأسباب وغيرها كثير، فقد «بطلنا» عشق أمريكا، وعلى الأخص سياستها «الخارجية»، والتي تعمل ليل نهار لتحويلنا إلى هنود صفر أو سود، أو حتى (لون قوس قزح) لكل ذلك «بطلنا» العشق وتركناه «لبني علمان» ليتنعموا ببركاته، وليحققوا المثل الشعب المصري (ألي يفوته الميري يتمرغ بترابه).

السياسة الأمريكية اليوم تساوي وتعادل «حبل المشنقة» لمن حكم بالإعدام، فهل يفهم ذلك أبناؤنا من بني علمان أم على قلوب أقفالها؟!

شاهد غريب

الشاهد «الجديد» غريب فعلاً، فهو مسيحي ديانة مسلم ثقافة وحضارة، هكذا يعرّف نفسه دون ملل، ويقدمها كذلك (د. رفيق حبيب) يعتقد أن المستهدف اليوم بالدرجة الأولى «ضمير الأمة» وقيمها، والحرب تسير بهذا الاتجاه وتستهدف هذا الضمير.

كما يرى أن الاستعمار الجديد - وهو دائم الحديث عنه - ليس هدفه الأول والأخير «الأرض» - كما كان الاستعمار القديم - لكنه يستهدف عقل الأمة وضميرها، فالمطلوب إلحاق الهزيمة بذلك، وتركيع الحكومات، وضرب المقاومة الإسلامية، وكل هذا يتزامن مع الحرب الشرسة ضد الحركات الإسلامية والمشروعات الإسلامية، بل يستهدف الإسلام نفسه، فالمطلوب الاستعماري قد تغير، بحيث لم تعد الأرض وحدها ولا الشعوب وثروتها وحدها، بل المطلوب (عقل الأمة وضميرها وكرامتها وعزتها...) إن المطلوب الجديد للاستعمار الجديد هو النيل من تاريخ الأمة وتدمير شعورها بذاتها، وباختصار: ضرب قوتها الداخلية[1]... أهـ.

ما رأي (الوكلاء) بهذا الطرح الصريح؟

---

(١) التغيير، د. رفيق حبيب، الطبعة الأولى (الشروق)، ص (١٠، ١١).

د. رفيق حبيب: يشخص الوضع

اهتمامات د. رفيق حبيب كلها تدور حول الأمة[1]، وما تعانيه من ضعف، ومن أزمات توسع وتدهور يتفاقم، وحكام ينفصلون عن شعوبهم يوماً بعد يوم، وبرامج للتحديث والتغريب لم تحقق دولة «الحداثة» تقدماً للأمام، بل صارت باباً تدخل منه التحديات «الخارجية» لتكسب نفسها «شرعية» ولتجد بيننا الكثير من «الوكلاء» عنها المتيمين بمشروعها، وهكذا أصبح في العرب (وكلاء)، من بين مهماتهم العظيمة التبشير بموت الأمة، رافعين مشروع «الحداثة» الذي وضح فشله وعدم تحقيق أي قدر من التقدم.

اليوم نشهد تحالفاً أمريكياً إسرائيلياً مع بعض من حكام عرب، مع نخب وكلاء الغرب، هذا التحالف الجديد يبشرنا «بالجنة الموعودة» ويدعونا لنعيم مادي استهلاكي، مع رفاهية مترفة... أما الثمن المطلوب فهو أن نتخلى عن هويتنا وتاريخنا وكرامتنا.. إنه «رخاء العبيد» ولا رخاء... أهـ.

الذين كانوا يتاجرون بالصلح مع إسرائيل كانوا يعدوننا بهذا الرخاء وإذا به «سراب بقيعة يحسبه العطشان ماء» إسرائيل مثل أي شحاذ في العالم، الشحاذ يحسن ويجيد (القبض) لكن لا أحد يمكن أن يقبض من شحاذ أبداً، والذين يراهنون على الصلح مع إسرائيل أنصحهم بقراءة المشروع الإسرائيلي (إسرائيل ٢٠٢٠م).

المشروع الإسرائيلي (٢٠٢٠م)

هذا المشروع الكبير الذي أعلن أن مداه ربع قرن يبدأ من (١٩٩٥- ٢٠٢٠م). اشترك في إعداد المشروع (٢٥٠) خبيراً من داخل إسرائيل و(١٥٠) من الخارج.

(١) التغيير، د. رفيق حبيب، الطبعة الأولى (الشروق)، ص (١٢).

وشاركت الوزارات كافة ذات الصلة والجامعات ونقابة المهندسين، وكل من يعمل بتخطيط المدن، وشاركت بعض الجامعات من اليابان وألمانيا وهولندا والدانمارك والسويد، والكثير من الجامعات الأمريكية والغربية.

ابتدأ العمل التمهيدي عام ١٩٩٠م، والفعلي ابتداء من منتصف عام ١٩٩٥م واستمر لست سنوات متواصلة.

أنتج المشرفون على المشروع (١٨) مجلداً، ترجمها العرب بـ (٦) مجلدات.

مسارات التخطيط الأساسية

جعل المشرفون على المشروع ثلاثة مسارات أساسية، يجب أن تلتزم بشكل كلي، فلا يغفل عنها مشارك وهي:

١- إسرائيل في أجواء السلام وعكسه.

٢- إسرائيل في مسار الدول الصناعية المتقدمة.

٣- إسرائيل والتجمعات اليهودية في العالم.

والذي يهمنا من المسارات الأول والأخير، نظراً لخطورتها علينا وعلى مستقبلنا وعلى دولنا وأجيالنا.

المجلد الخفي والظاهر

خصص المجلد الأول من (١٨) مجلد للأمن والشؤون العسكرية؛ لذا استبعد من التداول العام، يبقى مقصوراً على نخبة معينة. على حين جاء المجلد الأول «المعلن» ليشمل (٤٠٧) صفحات.

وقد قسم المجلد إلى ستة فصول مع مقدمة للطبعة العربية جيدة، استهلكت (٥٤) صفحة، تليها مقدمة للطبعة العبرية، يعقبها تمهيد وخاتمة وجداول ورسوم بيانية وخرائط وتقارير عدة.

المترجم والناشر

قام د. سلمان أبو ستة برتجمة المجلدات، وهو صاحب خبرة جيدة وله عشرات المؤلفات في الموضوع، كما قام «مركز دراسات الوحدة العربية» ببيروت بنشر الطبعة العربية، ويستحقون الشكر والثناء على عملهما.

كما يستحق مشروع (إسرائيل ٢٠٢٠م) أن يدرس بعناية ودقة، فكل نجاح يكتب لهذا المشروع فسيكون على حسابنا وحساب أجيالنا وتطلعاتنا.

السكان والأرض

كل تخطيط ينبغي أن يضع في حسابه عدد السكان ومساحة الأرض، وفي إسرائيل حيث تختلط الاعتبارات التوراتية بالتوجهات العلمانية، فإن إسرائيل تركز بشكل أساسي على (أرض التوراة وشعب التوراة)؛ لذا فإن إسرائيل تعمل بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة للسيطرة على الأرض، وطرد الفلسطينيين بعيداً؛ لذا يرى دارس «المخطط» كيف أن القائمين يعيدون دون ملل دراسة «الأرض» مرة بعد مرة، حتى علق بعض الإسرائيليين على هذه الظاهرة بأن هناك عبادة جديدة في إسرائيل هي «عبادة الأرض»، إسرائيل تريد أرض إسرائيل الكبرى خالية من الفلسطينيين، إن أمكن اليوم فمرحباً وإلا غداً أو بعد غد.

الملاحظ أنه لم يبق من العرب داخل إسرائيل سوى ١٥٪ من الفلسطينيين، حقوقهم لا يعترف بها، ووجودهم في السلطة التنفيذية «معدوم»، وكذلك في مؤسسة «التخطيط» وجود كأنه وجود «أشباح» ولا حقيقة له.

على الجهة الأخرى مطلوب هجرة اليهود من كل أقطار الأرض، وتقدم لهم كل التسهيلات وفي خدمتهم أكثر من دولة، والأموال تصب عليهم صباً، «المستوطنون» وهم مواطنون من الدرجة الأولى، تقدم لهم المساكن والأرض والخدمات، ويحرسهم جيش، ويزودون بالسلاح، وهم يتفرعنون على دولتهم، وثلاثة أرباعهم جاؤوا من أمريكا!!

أي قطعة أرض مطلوب سلبها فإنها تحاط بالأسلاك ويكتب عليها منطقة عسكرية لا يجوز الاقتراب منها، وبعد تجهيزها تصبح «مستوطنة» وتصير لعنة على العرب الذين يسكنون قريباً منها.

الأرض الأرض

خطط إسرائيل كلها تدور حول السيطرة على الأرض من أيدي أهلها، مرة باسم الجيش وأخرى بالشراء (المزور)، وثالثة بسلبها بحجة أن المالك لا يملك أوراق «طابو» أو أن مالكها غائب، حتى أموال الأوقاف تأخذها بهذه الحجة ـ كما سيأتي ـ ومن الوسائل وضع ضرائب عالية على الأراضي التي يملكها كي يضطروا إلى بيعها والتخلص من الضرائب.

الأماكن الإسلامية المقدسة وغيرها

يتحدث المترجم د. أبو ستة[1] عن الأماكن المقدسة الإسلامية وغيرها، فيذكر أن هذه المقدسات الكثير منها قد تهدم، وسياسة إسرائيل تمنع من إصلاحها، وبعضها دمر تماماً، فزرعت في المكان أشجار لمحو الأثر، بعض المساجد والمدارس الإسلامية حول بعضها إلى معابد يهودية أو متاحف أو مطاعم أو بارات، وبعضها إلى اصطبلات... هذا بالنسبة للمسلمين وأوقافهم، لكن أوقاف النصارى بقيت محفوظة ليس حباً ولكن خوفاً من إثارة الغرب المسيحي.

---

(١) إسرائيل (٢٠٢٠م)، ١/٤٤.

جل مقابر المسلمين صودرت وبني عليها فنادق وعمارات.

معلوم أن جل أرض فلسطين هي «وقف» لله تعالى فهناك ١,٧٠٠,٠٠٠ دونم موقوفة لله تعالى، وهذا يعادل ١٦٪ من مساحة فلسطين.

ولأن إسرائيل شرعت قوانين تعتبر كل من غاب عن ملكه تصير هذه الأموال ملكاً للدولة العبرية، ومنها الوقف.

تدمير المدن والقرى

لقد دمرت إسرائيل منذ قيامها (٥٣٠) بين مدينة وقرية فلسطينية، لكن الجديد الذي لا مثيل له في العالم: إن حكومة إسرائيل تعترف بقرى ولا تعترف بأخرى... بالنسبة للمدن والقرى المتبقية في إسرائيل للفلسطينيين، هناك (٨) مدن، وما يقارب (٩٠) قرية.

وقد أقام العرب (١١٢) قرية، إلا أن إسرائيل لا تعترف إلا بـ (٤٦) فقط ولا تسمح بإنشاء مدينة واحدة للعرب.

في جنوب فلسطين، في النقب يعيش (١٣٠) ألف عربي يعيش نصفهم في (٤٥) قرية غير معترف بها... ومن المتوقع أن يصل عدد العرب في النقب إلى (٣٠٠) ألف عام (٢٠٢٠م) وبحوزتهم حالياً (١٨٠) ألف دونم من الأراضي، من أصل (١٢) مليون كانوا يملكونها.

تعتبر إسرائيل عرب النقب «كمتطفلين» يحتلون أملاك الدولة الإسرائيلية؛ لذا فهي تحرمهم من أراضيهم الزراعية، وتريد تحويلهم إلى مجرد عمال، لا يملكون شيئاً من أرضهم.

والسؤال: لو فعلت دولة أي دولة بيهود يقيمون فيها، مثل هذا فماذا ستفعل إسرائيل وأمريكا وهيئة الأمم بهذه الدولة؟

وسؤال آخر لأيتام أوسلو وجرذان التطبيع: ما رأيكم دام فضلكم بما تفعله إسرائيل في عرب النقب خصوصاً وعرب فلسطين عموماً؟

الهجرة الهجرة

في المخطط يتكرر الحديث عن الهجرة بمناسبة ودونها، والمطلوب أن يهاجر اليهود إلى إسرائيل، ومن لا يهاجر فلا إله له... هكذا كان حتى الأمس القريب، وفجأة اكتشفت إسرائيل أن اليهود في الشتات شيء نافع مفيد بل دجاجة تبيض «ذهباً»، فهم رديف وخط دفاعي، يؤيد إسرائيل في كل ما تفعله بالفلسطينيين والعرب، يمدون إسرائيل بالتأييد السياسي والمال والرجال ويتجسسون على دولهم، وفي المقابل تقدم إسرائيل نفسها كحامية لليهود، وكل لص يهودي أو مجرم عتيد يستطيع أن يهرب من بلده إلى إسرائيل فلا تسلمه، وصار في الأمان، وخلال سنوات سيعود بجواز سفر جديد مزور وشخصية جديدة، والويل لمن يتعرض له.

في البداية كان المطلوب الهجرة ولا شيء غيرها، وقد نقل عن بن غوربون قوله: (لا جدوى من إسرائيل دون الهجرة، ولا معنى لإسرائيل دون القدس، ولا معنى للقدس دون الهيكل)... هذا وهو العلماني الذي لا يعترف بالصلاة... ومن أفكاره العظيمة الراقية: إن تدمير المجتمع الفلسطيني شرط أساسي لقيام واستمرار الدولة العبرية.

المهاجر في العالم إما مضطهد هارب بجلده، أو طالب للعمل يريد كسب المال، لكن اليهودي اليوم هو المدلل رقم واحد، فمن يجرأ على إغضابه أو إزعاجه؟

إن إسرائيل شرعت قانون العودة عام (١٩٥٠م) وهو قانون لا مثيل له في العالم قديمه أو حديثه، بموجب هذا القانون «العنصري» يعتبر كل يهودي مواطناً في الدولة العبرية، فإذا وصل إلى أرض إسرائيل ولو (ترانزيت) فهو يكسب الجنسية له ولأولاده، ويلزمه الإعلان عن رفضها، وإلا «لصقت» به رغم أنفه.

أما الفلسطيني الذي يقيم في فلسطين هو وأهله منذ قرون يمكن أن يبعد ويرمى خارج الحدود، وإذا سافر وغاب صودرت أملاكه ولا يسمح له بالعودة، ومع ذلك فإسرائيل هي الدولة الوحيدة «ديمقراطياً» ومن لا يعجبه فليشرب البحر.

المهاجرون لإسرائيل

إن مخطط إسرائيل (٢٠٢٠م) يذكر أنه وصل إلى إسرائيل مهاجرون من (١٠٢) من دول العالم، يتحدثون (٨٢) لغة.

هذا الخليط من البشر فيهم القوقازي الأبيض، وفيهم يهود الفلاشا من الحبشة، واليهودي الأصفر من الصين، والأسمر من الهند وسريلانكه، إلى اليهود العرب من اليمن والعراق والمغرب وغيرها.

وقد تبين أخيراً أن بعض المهاجرين من روسيا ليسوا يهوداً أصلاً، بل هاجروا للعمل والكسب والحصول على الامتيازات.

وعلى حين ترفض إسرائيل عودة فلسطيني مهجر، تفتح الباب لكل يهودي وتضغط أمريكا على دول العالم، وتربط المساعدات بالسماح بهجرة اليهود، وتشجع إسرائيل على رفض عودة الفلسطينيين.

كل هذا وأمريكا تتطلع لحكم العالم وإقامة إمبراطوريّة، تفتقد العدالة وتعمى عن الإرهاب الإسرائيلي اليومي... وفوق ذلك تتساءل لماذا لا نعشق سياستها، ولماذا نكره إسرائيل..!!

سلام أم استسلام

منذ قامت إسرائيل وهي تتغنى بالسلام، لتظهر العرب وكأنهم (أبطال حرب) وما إن رفعت أمريكا «الهراوة» بعد حرب الخليج الثانية حتى هرول العرب الأحياء والأموات، والكل راح يعلن عشقه للسلام، وهنا انكشف الزيف الإسرائيلي - الأمريكي.

وبعد أن صارت إسرائيل القوة الكبرى ذات المخالب النووية وجدت أن السلام يشكل عبئاً ثقيلاً، وله متطلبات لا معنى ولا ضرورة لها وله.

من هنا بدأ التهرب من السلام ومتطلباته، ويساعد في ذلك الحليف الأمريكي سراً وعلانية... (د. إيان لوستك) في كتابه «الأصولية اليهودية»[1] يسجل هذا الموقف من سلام عابر وسلام حقيقي عندما تحقق إسرائيل كل مطالبها في الأرض، والذي يسبق عودة السيد المسيح.

الدكتور (أبو ستة) يسجل أن المخطط الإسرائيلي يعترف بقلة البدائل، مع التركيز على مبدأين أساسيين هما:

الأول: يتمثل بتعزيز الأمن القومي لإسرائيل، وذلك بضمان التفوق العسكري على العرب جميعاً وعلى المنطقة كلها.

الثاني: ضمان الملكية القومية على الأرض، مما يعني احتلال المزيد منها، إذ الأرض في فلسطين ملك للشعب اليهودي، وفق أي قانون؟

---

(١) الأصولية اليهودية، ص (٩٥).

كيان فلسطيني وليس دولة

يلاحظ أن المخطط يتحدث دوماً عن (كيان فلسطيني) يكون مقيد الصلاحيات في موضوع الجيش والأمن، ويزيد: من المحتمل توحيد هذا الكيان مع الأردن في فيدرالية أو كنفدرالية.

يفسر أبو ستة ما تقدم بأنه تجميع للفلسطينيين في معسكرات اعتقال كبيرة بحيث يتدبرون شؤونهم الداخلية، مع حراسة إسرائيلية على الأسوار والبوابات، وليس للفلسطينيين سيادة على أرضهم أو ما فوقها أو ما تحتها أو حدودها أو علاقاتها مع العرب والعالم.

هكذا يرسم المخطط وضع «الكيان»، وعلى الفلسطينيين قبوله أو رفضه، هذا هو السلام ولا شيء فوقه ولا شيء معه ولا شيء بعده !!

ثمن السلام

مع هذه الصورة الكالحة للسلام يتوقع «المخطط» أن تندفع الدول العربية والإسلامية لتوقيع معاهدات مع إسرائيل، تعترف باحتلالها الأراضي العربية وبإسقاط الحقوق الفلسطينية، ورضا الفلسطينيين بكيان تنقصه السيادة، وستكون الحدود مع الدول العربية مفتوحة للإسرائيليين وبضائعهم مغلقة أمام العرب وبضائعهم.

ويقترح المخطط (١٣) نقطة محصنة على خط الهدنة، مجهزة بكل الاحتياطات الأمنية، لضبط الدخول والخروج للبلاد العربية، لكن لا يسمح بدخول العرب لإسرائيل.

هذه البوابات تنصب على حائط حديدي حول إسرائيل، على حدود غزة، وشمال وجنوب القدس، وعلى حدود الضفة الغربية.

بعد هذا تبدأ «أحلام القطط» وكلها تدور حول «الفيران».

جرد الغنائم

بعد كل ما تقدم حول الكيان «الهزلي الهزيل» تأخذ الأحلام طريقها لتعداد المغانم والمرابح، عسى أن يتعطف الشعب الإسرائيلي ويتلطف الشعب الأمريكي فيوافق على هذا المشروع... إنه «تسويق» حذر؛ لأن الشعب الإسرائيلي لا يريد السلام ولا يؤمن به، ويجد كامل التحريض ضده في أمريكا.

فما هي المغانم الكبرى التي تسوَّغ أو تسوِّق هذا المشروع «العظيم»[1]؟

١- قيام مشاريع مشتركة بين العرب وإسرائيل، العرب يقدمون الأرض والمال وإسرائيل تقدم الخبرة.

٢- الأمر يتطلب قيام طرق وسكك حديد ومشاريع لاستغلال المعادن، وإنشاء منشآت سياحية ـ طبعاً وفق مواصفات معينة ـ !

٣- العرب يزرعون ـ وسوف تتقلص الزراعة ـ وإسرائيل تقوم بخدمات مثل التعليب والنقل والتصدير.

٤- ستصبح إسرائيل مقراً للشركات متعددة الجنسية.

٥- ستكون إسرائيل الوكيل العام للشركات الغربية في الوطن العربي.

٦- في مقابل هذه «المغانم» ستسمح إسرائيل للعمال العرب بالدخول إلى إسرائيل للعمل فيها.

هذا الجود «الحاتمي» هو كل ما تعهدت وتتعهد به إسرائيل بدخول خدم أو «عبيد» عرب بعد أن انتهى عهد الرق منذ مئات السنين!

---

(١) إسرائيل (٢٠٢٠م)، ١/٣٧.

ولأن كل ما تقدم لا يغري الفرد الإسرائيلي بقبول السلام؛ لذا لا بد من تقديم مسوِّغات أخرى مثل:

١- تدفق المهاجرين اليهود، حيث لا قتل ولا قتال؛ لذا سيصل إسرائيل نصف عدد يهود الشتات.

٢- ستنتهي المقاطعة العربية نهائياً، وستتدفق الاستثمارات، وتفتح الأبواب الواسعة لإسرائيل.

إذا لم يتحقق السلام الكسيح

يدرس «المخطط» جملة احتمالات منها عدم تحقق السلام «الكسيح» بالشروط الإسرائيلية، فما العمل، وما الذي على إسرائيل أن تفعله[1]؟

١- إعادة احتلال غزة والضفة الغربية، وتفكيك أجهزة السلطة.

٢- سيهرب عشرات الألوف من الفلسطينيين إلى الأردن.

٣- يجب زيادة الاستيطان خصوصاً حول القدس، وشريط خط الهدنة عند قلقيليه وطول كرم في الشمال.

٤- تجميد اتفاقيات السلام مع مصر والأردن.

٥- اجتياز ما يعرف بالحدود الآمنة لإسرائيل.

٦- منع وجود أسلحة فاعلة أو دفاعية تمنع الحركة الإسرائيلية، ومع كل من سوريا ومصر والأردن ولبنان.

٧- سيحصل توتر وتجدد العداء في غور الأردن مع مناوشات واختراق حدود قد تؤدي لإعادة احتلال جزء من سيناء.

---

(١) المرجع السابق، ٣٨/١.

٨- هناك احتمال لفرض عقوبات دولية على إسرائيل، بسبب احتلالها لغزة والضفة.

٩- هناك احتمال حظر للأسلحة؛ لذا على إسرائيل أن تعتمد عل نفسها.

١٠- ستتوقف الهجرة لإسرائيل.

١١- ستعاني إسرائيل من أزمة اقتصادية كبيرة.

١٢- سيحدث ضغط على إسرائيل لاستئناف المفاوضات مع الفلسطينيين.

١٣- ستضطر إسرائيل للعودة للمفاوضات، ولكن بعد تحطيم المجتمع الفلسطيني، وإفقاده عناصر قوته، عندها تتفاوض إسرائيل بشروط أفضل... أهـ.

صورة واضحة لما يجب على إسرائيل أن تفعله عند وفاة «السلام الكسيح» والذي نرجوه ونتمناه أن يموت «الكسيح» ولو بحمى البقر أو أنفلونزا الطيور أو سواها، وأن تسارع إسرائيل لإلغاء معاهدات السلام مع مصر والأردن العلنية وباقي المعاهدات السرية.

ألاحظ أن المخطط يتجاهل كلياً مقاومة الشعب الفلسطيني، وكأنه شعب مات وليس له وجود، ولا حركة ولا إردة.

ألاحظ كذلك أن ثقافة الشعب الإسرائيلي تدور حول الحرب؛ لذا جاء (المخطط) ليسوق له السلام الكسيح على خجل واستحياء، فمن تربى على الحرب والقتل نصف قرن، فلن يتحوَّل نحو السلام، ولو كان «كسيحاً» هزيلاً، وسيسجل التاريخ أن أمريكا والكثير من شعبها كان ضد السلام في فلسطين، وهم يتطلعون لتفجير الحروب، على أمل أن تكون مقدمة لعودة السيد المسيح حيث يقتل اثنان من كل ثلاثة أنفس في العالم، وتسيل الدماء حتى تصل رؤوس الخيل ـ كما سبق ..

إن سلاماً ظالماً كسيحاً لن يكون سلاماً، ولن يقبل به الشعب الفلسطيني الشجاع، ولن يقتنع به أحد في المنطقة باستثناء «أيتام أوسلو» ووكلاء التطبيع، وتجار الاستسلام من الجبناء.

إن مصير الشعوب لن يكتب هكذا، وإذا أمكن أن يفرض السلام الكسيح في أي مكان في العالم، فلن يفرض على الشعب الفلسطيني الشجاع، ونذكر بقول بعض اليهود: ﴿**يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ**﴾ (المائدة ٢٢).

إن شعباً مجاهداً يقدم تضحيات منذ نصف قرن لن يستسلم ولو قادته شجاعته للفناء.

حائز على جائزة نوبل يتهم

(هارولد بينتر) الكاتب المسرحي البريطاني المعروف، وجه تهماً خطيرة للإمبراطورية الأمريكية، خلال تسلمه جائزة «نوبل» إذ قال[1]: الحكومة الأمريكية أيدت أو أنشأت دكتاتوريات عسكرية «يمينية» في العالم، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ابتداء من أندنوسيا واليونان وأورغواي إلى البرازيل وبارغواي وهاييتي وتركيا حتى الفلبين وغوانتيمالا والسلفادور وتشيلي، وقد قتل مئات الألوف بسب ذلك.

واليوم في معتقل غوانتنامو حيث يعتقل المئات منذ سنوات دون تهمة ومصادرة لحقوق الدفاع، وهذه تصرفات غير شرعية وتناقض اتفاقات (جنيف).

أما احتلال العراق فهو عمل عصابات وإرهاب دولة، يعكس احتقار القانون الدولي... وقد شنت الحرب استناداً إلى سلسلة من الأكاذيب، أما هدفها فهو تعزيز سيطرة أمريكا سياسياً وعسكرياً على الشرق الأوسط، بزعم تحرير شعوب المنطقة... أهـ.

(١) صحيفة الحياة في ٢٠٠٥/١٢/١٦ من مقال لجهاد الخازن.

اتهامات خطيرة، يقابلها لا مبالاة أخطر وأكبر، فالذين اختشوا ماتوا، ودعاة الإمبراطورية لا تهمهم سمعتهم ولا سمعة بلادهم، المهم أن ينفذوا ما يرون، وماذا فعل هتلر وموسليني وستالين أكثر من ذلك؟

وشهد شاهد

المؤرخ الأمريكي الكبير «آرثر شلبنجر»[1] يتحدث عن الإمبراطورية الأمريكية أيام الرئيس (بوش) فيراها قريبة جداً، وإلى حد مرعب من سياسة الإمبراطورية اليابانية في زمن «بيرل هاربر» - حين قصفت الموانئ الأمريكية؛ لذا لا غرابة في أن يكون الرئيس بوش يشكل خطراً على السلام العالمي، أكبر بكثير من الخطر الذي يمثله «صدام»... أهـ.

حقائق موجعة خصوصاً وهي تصدر من مواطن أمريكي له وزنه العلمي والمعرفي وصراحة مؤلمة لو كانوا يسمعون !!

ناقوس خطر يدق بقوة، ولكن القوم جعلوا أصابعهم في آذانهم فما الحيلة؟

الحب أنواع والعداوة كذلك

المحبة أنواع والعداوة كذلك، وإذا كانت المحبة تبدو أحياناً غير مفهومة فالعداوة ليست كذلك، بل لها أكثر من سبب، وعلاجها يكون بحسب السبب، وليس بتجاهله أو البعد عنه أو «الزوغان».

١- عداوة أساسها العقيدة، وهذه أمرها عسير وتجاوزها صعب، والمثل القريب للذهن الكنيسة الشرقية والغربية، والعلاقة بين اليهود والكنيسة الكاثوليكية، وأخيراً العلاقة بين الاتحاد السوفيتي والغرب وأمريكا وكوبا... هذا النوع يصعب تجاوزه والتخلص منه، حتى ينتهي طرف أو تحل به هزيمة ساحقة.

---

(١) الخطر الأخضر، إبراهيم نافع، ص (٣٢).

٢- عداوة سياسية وهذه هي الأخف لكنها الأكثر اليوم، لكن يمكن معالجتها بتعقل، والمثل القريب ما حدث بعد الحرب العالمية الثانية بين الغرب وألمانيا وإيطاليا واليابان (دول المحور)، فغالباً ما يكون خلف ذلك صراع سياسي على نفوذ، فيتطلب الأمر معالجة مناسبة لينتهي الأمر.

٣- عداوة اقتصادية سببها المال والنفوذ المالي كما نجد ذلك بين اليابان وأمريكا، والصين وأمريكا، وربما غداً بين أوروبا وأمريكا أو بين الهند وأمريكا.

٤- عداوة سببها أكثر من سبب، حيث يمكن أن تكون العداوة عقائدية واقتصادية كما هو الحال بين أمريكا وكوبا، وهنا يكون الأمر أكثر صعوبة في الحل والاحتواء.

٥- هناك عداوات متغيرة، من عقائدية تتحول إلى سياسية وبالعكس، ويمكن أن تكون العلاقة الأمريكية الإيرانية كنموذج لهذا التذبذب والتغير، في زمن الشاه كانت إيران «صديق الروح» لأمريكا، فلما ذهب الشاه تحولت إلى عداوة سياسية حادة، خصوصاً خلال حصار السفارة الأمريكية بطهران واقتحامها ودخول إسرائيل على «خط التسخين» وبعد اجتثاث «البهائية» من إيران وقتل رجالها، بلغ التشنج الإسرائيلي مداه.

خف العداء بعد المعاونة الإيرانية لغزو أفغانستان والعراق، ثم عاد التصعيد مجدداً بسبب التدخل الإيراني في العراق، وبسبب النشاط النووي الممنوع في المنطقة، إلا إسرائيل وحدها.

يتساءل الكثير: إلى أين يسير التصعيد، للحرب والضرب أم إلى اتفاق على تقاسم النفوذ؟

يتردد كثيراً: لا توجد صداقات دائمة ولا عداوات دائمة، بل توجد مصالح تحكم العلاقات.

هذا الكلام صحيح فيما يخص العداوة التي سببها سياسي أو اقتصادي، أما العداوة التي سببها «العقيدة» فليس كذلك.

وربما كان «الشذوذ» الوحيد هو علاقة اليهود بالنصارى، فقد تحولت أخيراً خصوصاً مع «البروتستانت» إلى عشق صوفي يصعب فهمه، إلا ما يطرحه الصهاينة الإنجيليون من أهل البيت الأمريكي، بالربط بين قيام إسرائيل وعودة السيد المسيح، واستعادة قراءة (رؤيا يوحنا).

يمكن التساؤل: هل هذا زواج كاثوليكي لا طلاق بعده، أم زواج «متعة» لفترة معينة، ويذهب كل طرف لوجهته؟.

والذي يهمنا هنا: هل العلاقة بين أمريكا والعراق عشق وغرام أم موت زؤام، وعداء تهيجه إسرائيل واليمين الصهيوني، أم علاقة منفعة أساسها النفط، والنفوذ السياسي الإمبراطوري، وجعل العراق «وتد جحا»؟.

كل جماعة متنفذة في أمريكا ترى في العراق أمراً يخصها ويعنيها وقد لا يعني غيرها، والأمل أن ينتفض الشعب الأمريكي كما انتفض على الحرب في «فيتنام» ويسوق اليمين المتطرف نحو التقاعد، ويحكم عليه بالفشل الذريع، وينسى الأمريكان عودة السيد المسيح، والأحلام «المنفوطة» ليعود العراق فيصلح الخراب الذي حل به، والذي أعاده إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى.

لقد شهد العراق هجمات «بربرية» عسى أن تكون الهجمة الأمريكية آخرها، وإن كانت الأشنع والأسوأ، نعم إنها الأسوأ نوعاً وتوقيتاً، فمن هولاكو إلى الرئيس بوش سيحفظ العراقيون ما حل بهم وببلادهم، وسيتطلب الأمر السنين الطوال كي

ينسى العراقيون معاناتهم، والذل الذي حل بهم وبأرضهم وسيبقى أهلنا في العراق يتذكرون الحصار الذي ضرب عليهم، فكان حصاران، حصار من النظام المراهق الفاشل، وحصار من أمريكا وحلفائها، حصار كأنه المعني بقول الصحابي الجليل «جابر بن عبدالله» إذا يقول: يوشك أهل العراق أن لا يُجبى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم، يمنعون ذلك، ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يُجبى إليهم دينار ولا مُدى ـ والمد الحفنة ـ قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم، ثم أسكت هُنية ثم قال: قال رسول الله عليه السلام: يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً، لا يعده عداً. (أخرجه الإمام البخاري الحديث (٢٩١٣).

وربما تكون الرواية من قبل «الأعاجم»، والعرب تعتبر كل غير العرب أعاجم، أما العجم فهم الفرس كما هو معروف، وقد يكون «الراوي» ذكر العجم ونسي «الأعاجم»، فالرواية تجوز بالمعنى ـ كما هو معروف ..

أحياناً أود طرح بعض القضايا عسى أن نجد من يفسرها، خصوصاً من «بني علمان»، ثم أتذكر المثل الشعبي المصري «ثور الله في برسيمو» فأتراجع، إن جل إخوتنا «إياهم» بين أمي لا يفهم شيئاً، وبين عاشق لا يعرف مبرراً لعشقه، وبين تابع أتعبه الركض حتى حفيت منه الأقدام.

أذكر أن في اليابان حزبين شيوعيين، أحدهما روسي الهوى والغرام، والثاني صيني القلب والوجدان، وقد وضعت اليابان «سياسة» كي تستثمر الحزبين، فكل قضية مع روسيا يكون «العراب» الحزب الشيوعي الروسي، وهكذا تعمل دوماً، أما رجالنا من «بني علمان» فثور الله في برسيمو، لا من نساء الفراش ولا من نساء المعاش، لا يحسنون إلا النواح والصراخ، ونظم القوافي في هجاء الأمة وتاريخها وكل ما تملك، ولا شيء فوق ذلك والشكوى لله تعالى.

من عبادة الأصنام إلى عبادة الدولة

الإنسان مخلوق صاحب أشواق روحية، ابتدأ حياته يصنع صنماً ثم يعبده، ولعل الأظرف من ذلك أن بعض العرب في الجاهلية كان يصنع صنماً من «تمر» يحمله معه فإذا جاع أكله... الإنسان عبد الطواطم والأوثان والأصنام والبقر والعجل «الذهبي»، ثم جاء «هيجل» ليطالبنا بعبادة الدولة، ذلك «المطلق».

يقول د. عبدالوهاب المسيري[1]: إن الدولة أصبحت «المطلق»؛ ولذا طالب هيجل أن يعبدها الإنسان، كما لو كانت إلهاً سماوياً... أهـ.

لو عاش «هيجل» إلى يومنا ورأى فساد بعض الدول لفضل عليها عبادة العجل أو البقرة أو بوذا... الإنسان يريد إلهاً يعبده؛ ولذا فهو إما يعبد الله خالق الكون وسيده، أو يعبد المال أو الجاه، أو يعبد هتلر أو ستالين أو ماو، أو يصنع إلهاً من «الشكلاطه» ثم يأكله إذا جاع.

الإنسان «اخترع» الدولة وتنازل لها عن الكثير من حقوقه لتنشر العدالة وتحفظ للإنسان حياته وكرامته وأمنه وعرضه، لكن الذي حصل أن الدولة كبرت وكبرت، وضربها الفساد والمحسوبية والرشوة، فصارت «علة» من علل المجتمع... قديماً وقف شاعر لوذعي ليطلعنا على مفارقة كبيرة فقال:

وراعي الشاة يحمي الذئب منها فكيف إذا كان الرعاة هم الذئاب؟

من له غنم ترعى في الفلاة يتخذ كلب حراسة ليحرسها، ويدفع اللصوص والذئاب، هذا الأمر يستوي فيه مؤمن وكافر، لكن الجديد أن يتحول «الحاكم» إلى ذئب.

ثمة قصة رمزية تتداول: أن أهل قرية كان لهم قطيع غنم يرعاها راع، وكلما نقص عدد الغنم قال الراعي: أكله الذئب، فقرروا أن يصحب الراعي كلب حراسة،

(١) دفاع عن الإنسان، الطبعة الأولى، ص (١٨٩) .

لكن فقدان أو نقصان الغنم استمر، وحين سئل الراعي أجاب: ذهب الذئب لكن كلب الحراسة تولى ذات المهمة.

كان في العراق نظام هواياته قتل الناس وحبسهم وتعذيبهم وتجويعهم، فجاء من يقول للعراقيين: أنا مستعد لتخليصكم من كل ذلك، فلما سقط النظام وجد العراقيون «كلب الحراسة» يفتك بهم وبأمنهم ودمائهم، ينهب ثروتهم ويسلط عليهم ذئابه، يضربهم بطائراته وبكل ما يملك، ثم يمتن عليهم بأنه خلصهم من الطاغية.

نعم خلصتنا من طاغية «صغير» وحزب مراهق، لنسقط في طاغية أكبر وأحزاب أكثر مراهقة، وأعظم «شبق للدماء» وأكثر شرهاً للمال والجاه، فكنا كمن يعالج الصداع بجراثيم الطاعون.

وصدق الله إذ يقول[1]: ﴿**إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾.

إن من يحتل بلداً يحتاج إلى من يعاونه من أهل البلد، فيعمد إلى قلب المجتمع بحيث يجعل أعلاه أسفله، يرفع الأسفل إلى أعلى السلم، كي تدين له الطبقة الجديدة بالولاء، فتشعر أنه ولي نعمتها، بفضله تصول وتجول، تنهب وتسرق ولا من يحاسب؛ لذا تكون «الطبقة الجديدة» خسيسة في أصولها وفي سلوكها وفي أهدافها، وربما كانت حاقدة تعتقل الناس ثم تقتلهم وترميهم خارج المنطقة التي يعرفون بها، بعد أن تجردهم من كل ورقة تعرّف بهم.

إنه «الذئب» صار يرعى الغنم، فيوفر لها القتل والسلب والنهب والرعب!

والسؤال: ألهذا قامت الدولة وأنشئت، أم لهذا أريد التغيير والتبديل؟

---

(١) سورة النمل، الآية: ٣٨.

إفرازات الدول العلمانية

ما دمنا في الحديث عن «رعاية الذئاب» وعن الدولة وتسلطها حتى صارت «عندنا» تحولاً يخافه الناس، ويدعون الله أن ينجيهم من شرها؛ «عبدالإله بلقزيز» الكاتب والمفكر المغربي لفت انتباهه أن «العلمانية» غريبة على مجتمعاتنا؛ ذلك أن الدولة «الثيوقراطية» الدينية، لم يعرفها الإسلام ولا المجتمعات الإسلامية، فالدولة في الإسلام مدنية لا يحكمها «معصوم»... لا فرق في ذلك بين دولة الخلفاء الراشدين أو الدولة الأموية أو العباسية أو العثمانية، أما النموذج العلماني الذي عرفته الدول العربية الحديثة، فقد جاء نتيجة زراعته سياسياً في حقل «نابذ»[1] فتسبب بصنع «تشوهات» في الدولة خطيرة، كما صنع مشكلات وأزمات وضعت استقرار الوطن ووحدته أمام امتحان عسير، ولوحظ كيف أن البلاد «الأكثر علمانية» مثل مصر الخديوية والناصرية، ولبنان المارونية، وإيران الشاهنشاهية، وتونس البورقيبية، وجزائر جبهة التحرير، وتركيا الكمالية، كلها أفرزت أشد الحركات السياسية الدينية معاداة للعلمانية، بل أكثرها دفاعاً عن فكرة إعادة التوحيد بين السياسي والديني من خلال تطبيق شعار «تطبيق الشريعة الإسلامية»، وهكذا أخفقت (العلمانية الكسيحة) في أن تحقق قضيتها، التي من أجلها تبلورت، ولم يكن إخفاقها يتجلى في تأثيرها «الشاحب» والباهت في النظام الاجتماعي، وفي علاقة هذا النظام السياسي فحسب... أهـ.

قد تكون العلمانية ناجحة ومفيدة في المجتمع الغربي لأسباب تتعلق بذلك المجتمع وطبيعته، لكن لا يشترط أن تنجح في كل المجتمعات.

---

(١) أسئلة الفكر العربي، طبعة أولى، ص (١٠٢) .

القضية الثانية أن الإسلام يرفض العلمانية، كما ترفضها الديانة اليهودية مثلاً... وهذه القضية يدركها الكثير من الذين درسوا الإسلام، فهذا[1] «ارنست تملنر» العالم الأنثربولوجي يطرح تساؤلاً: لِمَ يكون دين واحد بعينه «الإسلام» على هذه الدرجة الملحوظة من مقاومة العلمنة؟

وكانت أطروحته: أن في الإسلام إيماناً دينياً عميقاً، بمعنى الدين المؤسس العقدي القادر على تحدي أطروحة (العلمنة) وبشكل كلي ومؤثر.

إن عالم الإسلام يظهر بوضوح أن من الممكن إقامة اقتصاد عصري، تخترق بشكل معقول المبادئ التكنولوجية والتعليمية والتنظيمية المناسبة، ويعمل على ضمها وتوحيدها مع الإيمان الراسخ، والتماهي مع الإسلام، بكل ما يملكانه من قوة وانتشار، وقدرة قادرة على الاندماج في الذات... أهـ.

«روجيه باسكويه» في كتابه الرائع «إظهار الإسلام» الذي كتبه بالفرنسية وقامت دار الشروق القاهرية بترجمته للعربية ونشره يقول[2]: الوحدة هي المفهوم الرئيس للحياة في الإسلام، الوحدة الكلية، فالإسلام يشمل كل أمور الحياة، وهو يناقض نفسه إذا ترك أمراً خارج مداره.

ويظهر ذلك القصد الأساسي في كل أحكام الإسلام وشعائره، وفي مناهجه التي تشكل كل أنواع النشاط الإنساني، الذي يجمع التعدد حول «الواحد»، المحيط حول المركز، الإسلام يناقض «الثقافة الكمية» الحديثة في ميلها للتفتيت والتقسيم، وإنكار الوحدة؛ فالإنسان لم يعجز أن يعيش في انسجام مع رفاقه، وليس كما هو الحال في صراعتنا المعاصرة... أهـ.

---

(١) الإسلام والعلمانية، معتز الخطيب، (الحياة) في ٢٠٠٥/١٢/١٧م.

(٢) إظهار الإسلام، دار الشروق، ص (١٠٩).

الإسلام جاء عقيدة وعبادة وأخلاقاً وتشريعاً، والعلمنة تعني الاعتراف بالعبادة، وتصادر ما بعد ذلك وفوقه، وهي إيمان ببعض الكتاب واستبعاد لأكثره، وهي تعني - في أبعادها - التحول نحو عبادة الدنيا ونسيان الآخرة، من هنا اشتعلت الحروب، واشتدت الصراعات، وافترس الأقوياء الضعفاء وعدنا إلى بربرية لها مخالب «ذرية».

وقد آن أوان «تقويم» العلمانية، فمما يلاحظ أن الغرب يعمل جاهداً لفرض العلمانية علينا، فإن عجز حاول بمختلف الطرق أن يدفع العلمانيين إلى سدة الحكم، ولو كانوا غير مؤهلين، وقد أضر بهم هذا «التحالف» ضرراً بالغاً، بحيث صار وصولهم للحكم مستحيلاً عن طريق «صناديق الاقتراع» فاستعيض عنها بصناديق «التزلف والنفاق» فزادهم ذلك سقوطاً وارتكاساً، وصاروا وكأنهم من طبقة (المنبوذين) في الهند، وأسهم هذا في جعل خطابهم غريباً جداً.

خطاب فوقي يعتمد شتم الأمة وفقدان الثقة بها كلياً، مع استدعاء الأعداء والاستقواء بهم، وكل ذلك يقتل ويغتال الثقة، ويجعل الجماعة أشبه بانتحار جماعي، فبدلاً من أن يدرس سبب الابتعاد والنفرة من العلمانية وأهلها، يصطنع خطاباً يزيد في العزلة ويقتل الثقة، وما هكذا تعالج الأمور!

انظر إلى الساحة من تركيا حتى المغرب ومن فلسطين حتى أندنوسيا، فلا أرى إلا هزائم متوالية للعلمانية ورموزها، أفلا يدفع ذلك (الواقع المر) لدراسة الظاهرة، ووضع اليد على مكان الخطأ والخلل؟

انظر للعراق وأفغانستان وفلسطين، بالرغم من الاحتلال، ومع ذلك فالعلمانية ورموزها في تراجع لا مثيل له، لقد دفع العلمانيون ثمن التحالف والاستقواء، ولن ينفع أن يقدمكم هذا الحاكم أو ذاك أو يفسح لكم الطريق.

من يدلنا: أين الخلل

يوجد اليوم في الساحة الواسعة للعالم مواطن كثيرة للخطأ والخلل، ومن مصلحة العالم أن يضع «أحد» يده عليه، حتى لا يقوم «حاوي أو دجال» فيصف الخلل بأنه صواب، أو يقوم منافق كبير أو صغير فيسوق لنا الظلم على أنه عين العدل، وكي لا يقوم كذاب أشر فيقول لنا إن الإرهاب الإسرائيلي مجرد دفاع عن النفس، وأن احتلال العراق كان لمنع الإرهاب ونشر الديمقراطية ليس إلا.. الصحفي «عبدالوهاب بدر خان» يتساءل: يا ناس أين الخلل[1]؟

يبدأ حديثه باستنكار الاعتداء على كنيس يهودي، ويعتبره عملاً لا سامياً، ويطلب بإدانته، لكن هل يبرر هذا اللامبالاة إزاء الاعتداءات الأخرى، ويضرب لذلك مثله فيتساءل: ما القول في تدمير أكثر من جامع في رفح، وإطلاق النار على جامع في نابلس، والاقتحامات الشارونية للأقصى، والمذبحة في الحرم الإبراهيمي والمصلون سجود، ومثل ذلك الاعتداءات على جوامع في صفد وحيفا وطبريا، بل تحويل بعضها إلى (بارات) أو مقاه أو مطاعم، وما القول في حصار «كنيسة المهد» وعدم النظر إلى حرمتها، بحجة وجود إرهابيين فيها؟

وهو يتساءل: هل هذه الجرائم مبررة لمجرد أن من يرتكبها «حليف إسرائيلي»؟

وهل أن الفلسطينيين الذين لم يتعرضوا لأي كنيس يهودي إرهابيون، لمجرد مطالبتهم بحقوقهم في أرضهم...؟

يا عالم، الخلل في السياسة الأمريكية واضح، وهو يحرج الأصدقاء والحلفاء... أهـ.

---

(١) صحيفة الحياة، ٢٠٠٣/١١/٢٢م.

الحقيقة لا تحرج ولكن (تقتل)، السياسة الأمريكية لها صديق واحد هو إسرائيل وكل من سواها لا وزن ولا قيمة لهم، رضوا أم سخطوا، فرحوا أو ماتوا حزناً وكمداً. قبل سنوات كان «كارل شميت» يدرّس في مدينة «كولون» الألمانية، وضع نظرية عرفت تحت اسم «مفهوم السياسي» جعل سيادة الدولة واستقلالها ترتكزان على التمييز بين «العدو والصديق»[1].

بالمناسبة فإن أبا جعفر المنصور طرح النظرية نفسها قبل أكثر من (١٢٥٠) عاماً معللاً سرعة سقوط الدولة الأموية حيث قال: كان للأمويين أصدقاء وأعداء، أهملوا الأصدقاء ثقة بصداقتهم، وتطلعوا للأعداء أملاً بكسب مودتهم، فلا احتفظوا بالأصدقاء ولا كسبوا الأعداء.

الولايات المتحدة اليوم تفعل ذلك على نطاق واسع، لا يهمها صديق ولا عدو، المهم أن تكسب صداقة إسرائيل وكفى، وكل ما عدا ذلك لا قيمة له ولا وزن!!

عندما يتتلمذ الأمريكيون على إسرائيل

السياسة العنصرية النازية الإسرائيلية يراها العالم «صوت وصورة» مع كل نشرة أخبار، وإسرائيل لكونها محمية «بالفيتو الأمريكي» لم يعد ذلك يحرجها أو يزعجها مجرد إزعاج، فالبيوت تهدم على ساكنيها في فلسطين، والأرض تجرف والقتل والاغتيال والاعتقال زاد يومي، وضرب الأماكن المزدحمة مثل غزة بقنابل زنة ألف رطل على قدم وساق، الإذلال على الحواجز، اعتقال الناس وربط عيونهم وأيديهم وتعذيبهم كل ذلك يسير ولا من معترض.

الجديد في الأمر أن القوات الأمريكية في العراق بدأت باقتباس هذه الوسائل الحضارية كلها، والإبداع فيها مثل ضرب حفلات العرس، وإطلاق النار على كل موجود متى استهدف جندي أمريكي واحد.

---

(١) حازم صاغية، (الحياة) ١٤٢٧/٣/٢٩هـ.

صحيفة «لوس أنجلس»[1] نشرت هذا «التلمذ» الراقي في ٢٠٠٣/١١/٢٤م بنشرها تحقيقاً واسعاً عن «التعاون الأمني» المنقطع النظير بين إسرائيل والقوات الأمريكية، ونقل ذات الوسائل، بهدف قمع المقاومة العراقية، ومما أبرزته الصحيفة مشكورة، أن قادة الأجهزة في البلدين ـ أمريكا وإسرائيل ـ يفكرون بنفس المفاهيم، ويعملون بالتشاور وتبادل المعلومات... أهـ.

ومع ذلك فهناك «عميان» يتساءلون لماذا يكرهنا العرب ونحن طيبون؟

الفرق بين وضع الأمريكان في العراق ووضع الجيش الإسرائيلي أن في العراق جيشاً سرح، ومثله أجهزة شرطة، كما يوجد مقاتلون يقدرهم الأمريكان بأكثر من (٣٠) ألف، ويوجد في العراق (١٣) مليون قطعة سلاح ـ حسب ما يقوله الأمريكيون ـ والفلسطينيون محاصرون، والعراق مفتوح من كل الجهات.

تنميق الأكاذيب من مود إلى بوش

الإحتلال لعنة، ومن يقبل به ويتعاون معه «خنزير» نجس العين، في الحرب العالمية الأولى سقطت بغداد بعد حروب مشرفة، وجاء الجنرال «مود» فاتحاً وقدم بياناً حشاه بالوعود والعهود، ومع ذلك لم يخرج الإنكليز إلا بعد ثورات وانتفاضات، وبعد مضي أكثر من أربعين عاماً، وتكبيل العراق بأكثر من معاهدة.

سقطت بغداد عام ١٩١٧م -١٣٣٥هـ، وبعد (٨٦) عاماً أطل على العراق «بوش» بطلعته البهية، وحاول أن يجدد وعود (مود) بعراق ديمقراطي فيدرالي يشع على العالم بأنواره، وكان «المقبوض» دماء تسيل وحرب أهلية على وشك الاندلاع ولا ماء ولا كهرباء ولا ما سوى ذلك... موت ودمار وقتل على الهوية، وتهجير والقادم أكبر.

---

(١) صحيفة الحياة من مقال لعزمي بشارة في ٢٠٠٣/١١/٢٩.

الجنرال «مـود» نشـر على العـراق منشـوراً بالعـربيـة والإنكليـزية يقـول[1]: إن الغرض من معاركنا الحربية دحر العدو ـ يقصد التركي ـ وإخراجه من هذه الأصقاع التي تحارب فيها جنودنا، إلا أن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم كقاهرين بل محررين، فقد خضع مواطنوكم منذ أيام هولاكو ٦٥٦هـ لمظالم الغرباء، فتخربت قصوركم وتجردت حدائقكم، وعانت أسلافكم من الاسترقاق، وسيق أبناؤكم إلى حروب لم ينشدوها، وجردكم الظلمة من ثرواتكم، أولئك الأتراك.

إن أمنيات مليكي وشعوبه، وشعوب الدول العظمى المتحالفة معها تأمل أن تظلوا كما كنتم سابقاً، أرضكم خصبة، والعالم يتغذى بألبان آدابكم وعلوم أجدادكم، يوم كانت بغداد إحدى عجائب الدنيا.

لقد ارتبط قومكم بإيالات جلالة ملكي المعظم بعروة المصالح الوثقى، وتعاطى تجار بغداد، وتجارنا منذ قرون الصداقة والمنافع، أما الألمان والأتراك فهم الذين نهبوكم وذويكم بعد أن اتخذوا بغداد مدة (٢٠) سنة مركز قوة يهجمون منه على نفوذ البريطانيين وحلفائهم في إيران والأمصار العربية؛ لذا لم نتمالك أن نضرب صفحاً عما يحدث في وطنكم حاضراً أو مستقبلاً، قياماً بواجبنا ومصلحة الشعوب البريطانية وشعوب حلفائها؛ لذا لا نستطيع المجازفة في دفع ما فعله الأتراك والألمان ببغداد في أثناء الحرب مرة ثانية، لكنكم أهل بغداد يا من يستوجب تأمينكم من الظلم والغزو أدق اهتمام حكومتنا، أبد الدهر، إن أمنية حكومتنا هي أن تحقق ما تطمح إليه نفوسكم وفلاسفتكم وكتابكم، ولسوف يسعد أهل بغداد حالاً، ويتمتعون بالغنى المادي بفضل نظم توافق قوانينكم المقدسة، وطموحاتكم القومية والفكرية، لقد طرد العرب الأتراك والألمان من الحجاز، الذين بغوا عليهم، ونادوا بعظمة الشريف «حسين» ملكاً عليهم، وعظمته يحكم بالاستقلال والحرية، وهو

(١) المفصل في تاريخ العراق، جماعة من المؤلفين، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، ص (١٧٢).

متحالف مع الأمم التي تحارب الدولتين التركية والألمانية، وهذا هو حال أشراف العرب الذين راحوا ضحية في سبيل الحرية، على أيدي أولئك الحكام «الغرباء» من الأتراك الذين ظلموهم.... إن بريطانيا والدول العظمى مصممة على أن لا يذهب ما قاساه العرب الشرفاء هباء منثوراً.

إن مأمولنا وأمنيتنا أن تسمو الأمة العربية مرة أخرى عظمة وصيتاً وأن تسعى كتلة واحدة وراء هذه الغاية.

يا أهل بغداد، تذكروا أنكم تألمتم مدة (ستة وعشرين) جيلاً، حيث سعى الغرباء الظلمة دائماً بين أهل البيت ليستفيدوا من انشغالكم... توقيع: الفريق الأول ف.س. مود... أهـ.

حين كان هذا البيان ينشر كان الإنكليز والفرنسيون يوقعون معاهدة «سايكس بيكو» ويقسمون البلاد العربية بينهم، أما الحليف الشريف «حسين» فيوضع على متن باخرة لينفى إلى قبرص، والباقي معروف.

وبعد (٨٦) عاماً تطل علينا أمريكا، لتضرب العراق بكل ما لديها من أسلحة، ولتحتل العراق فتنشر ذات الأكاذيب الديمقراطية والحكم الفدرالي، ولتكون العراق المنكوبة بالقتل والدمار نقطة إشعاع أو إشعال، قد تفجر المنطقة كلها وتضربها بزلزال أو إعصار لا يبقي ولا يذر، ومع ذلك ما زالوا يصرون على أن «مود الجديد» لديه خطط لنشر الحرية والديمقراطية، وهو عاشق للإنسان وحقوقه، وكذلك الحيوان والنبات والجماد، حتى الذباب والبعوض، وقل موتوا بغيظكم!!

فإلى الجنرال «مود» الجديد لم ننس بعد أكاذيبكم القديمة، فهل تطمعون أن نصدق أكاذيبكم الجديدة؟ والعهد قريب!

(نسخة من بيان الجنرال مود إلى السفير بريمر) فهل من جديد؟

وكلاء عميان يروجون بضاعة فاسدة

في الصفحات السابقة تحدثنا عن الجنرال مود وخليفته بوش، وقد وجدت الكاتب (فرج بو العشة) يتحدث بمرارة عن وكلاء يدبجون قصائد مدح وهجاء ثم يوزعونها توزيعاً غريباً، المدح والثناء والشكر للجنرال (مود) وخلفه الجنرال «موت» والهجاء على طريقة الحطيئة الذي هجا الكل حتى نفسه وجماله القاتل، يقول الكاتب فرج، فرج الله عليه وعلينا وخلصنا من الجنرال مود «أو موت»، فرج يقول[1]: إن الإدارة الأمريكية اليوم صنيعة (الأصولية المسيحية) المتصهينة، والمحافظون الجدد قد اختطفوا الديمقراطية من أجل الهيمنة الامبريالية، ورخصة للحروب، ولكن الجديد أن يقوم مثقفون عرب «متأمركون» بالترويج للمشروع الأمريكي باسم «تحديث العرب من الخارج» وتوصيل الديمقراطية إلى البيت - على طريقة بعض البقالات ..

الديمقراطية - يا سادة - نتاج غربي معروف، استحدث عندنا بواسطة السيد المستعمر، الذي اخترع أوطاناً، ورسم حدوداً، ونصب حكاماً، وصاغ دساتير، وأقام برلمانات، ولفق أحزاب بلاط وأحزاب معارضة، عبارة عن «إكسسوارات» لديمقراطية مصطنعة، تابعة لوصاية المندوب السامي... وذات يوم جاء «طويل العمر بريمر» ليعيد العملية مجدداً.

اليوم تتكرر اللعبة، حيث يعود الاستعمار في صورة احتلال مباشر للعراق ليعزز احتلالاً قائماً في فلسطين، فتظهر في الساحة طائفة من مثقفي «ديمقراطية رامسفلد» وبحجة نقد الأوضاع العربية المزرية حقاً، يستخدمون حقاً يريدون به باطلاً أمريكياً فيعمدون إلى تسفيه تاريخ العرب، وتراثهم وثقافتهم وقبحهم، ثم

---

(١) الحياة في ٢٠٠٣/١١/٣٠م.

يعتبرون كره الشارع العربي للسياسة الأمريكية، يعتبرونه موقفاً عاطفياً انفعالياً، يتبناه غوغاء، إننا اليوم أمام متأمركين «يطوبون» غزو العراق «فتحاً مبيناً» جاء بالحق ليزهق الباطل، إنهم يؤلفون أناشيد في مدح النموذج الديمقراطي اللبرالي في العراق، ولعل كتابات السيد «فؤاد العجمي» ترشحه ليكون الكاتب الأبرز.... أهـ.

موقف «رث» يجده الإنسان عقب كل هزيمة، وربما في كل أمة، وبدلاً من أن يقف المثقف مع أمته يشجعها على الصمود، فهو يعلمها النواح، النواح والبكاء والعويل، سلاح لبعض الناس، لكنه لا ينهض بأمه، ولا يقيمها من عثرة، ولا يأخذ بيدها، لكنه يسهم في قهرها، وإيصال الهزيمة إلى قلبها وتجذرها في نفسها، وهذه خيانة كبرى للمثقف ودوره في حياة أمته.

ما أسباب الكره

في الغرب كل قضية ولو كانت «بدهيه» تبحث وتدرس وتمحص، لكن بعض القضايا تمنع دراستها بشكل سليم؛ لأن النتائج معروفة، ويتضرر منها نفر «عزيز».

والمثال القريب جداً قول أكثر من رئيس أمريكي: لماذا يكرهوننا ونحن طيبون؟

القضية ناقشتها أكثر من جهة، لكن التجاهل ظل هو الأساس والتهرب هو المطلوب.

وقد رفعت الاستخبارات الأمريكية تقريراً إلى الرئيس «بوش»[1] بينت فيه أن الانحياز الكلي لإسرائيل هو السبب الأول لكراهية العرب والمسلمين للسياسة الأمريكية؛ لذا فمن الضروري المسارعة لتعديل هذه السياسة، من أجل الحفاظ على المصالح الحيوية في المنطقة... أهـ.

(١) صحيفة الحياة في ٢٠٠٣/١٢/١م، من مقال افتتاحي لعرفان نظام الدين.

أولبرايت - وزيرة الخارجية الأمريكية - ومثلها الرئيس الأسبق «كارتر» يرى أن السياسة «غير المحايدة» تضر بالمصالح الأمريكية، ومع ذلك فإن هذه السياسة تزيد في الانحراف، وتغالي في استخدام الفيتو الأمريكي، وقد وصلت هذه السياسة حدها الأعلى في الانحياز بإعلانها الحصار على الشعب الفلسطيني؛ لأن (حماس) وصلت إلى الحكم، على حين لا تخلو حكومة إسرائيلية من صقور شاس، ومن ملوك العنصرية في حزب الليكود وكاديما، ومليارات الدولارات تزخ على إسرائيل، والفيتو الأمريكي يحيميها من كل أذى مهما صغر.

والإنسان قد يفهم هذا الانحياز المطلق لإسرائيل، ولكن كيف يفسر اصطفاف بعض العرب مع أمريكا وسياسة أمريكا؟!!

حتى الموقف الأوروبي الذي كان يتحرك على استحياء، انحاز للسياسة الأمريكية، وسار خلفها بعد أن كان يسير في ظلها.

فإلى المتسائلين جميعاً هذه أسباب الكره (وليس يصح في الأذهان شيء + إذا احتاج النهار إلى دليل) ويبدو أنه يحتاج إلى أكثر من دليل؛ والشكوى لله من هذا (العمى والصمم) في وقت واحد..!!

عندما صار الإرهاب نظاماً دولياً

أن يكون السلام هو «القاعدة» والخروج عليه «شذوذاً» مقبول، ولكن أن يصير الإرهاب هو القاعدة والقانون، وأن تمارس الدولة الأقوى، والحالمة ببناء إمبراطورية تقود العالم، فهنا تكون الطامة.

(جورج حداد) الكاتب اللبناني يتحدث عن صيرورة الإرهاب نظاماً دولياً، تتولاه الولايات المتحدة، وتمارسه بكل شوق وحرية، ثم تفرضه على العالم فتلك قضية كبيرة إن لم تكن فاجعة، كتب «جورج» مقالة على شكل نقاط:[1]

(١) الحياة في ٢٠٠٣/١٢/٢م.

١- الإدارة الأمريكية الحالية، وخلفها الطبقة المحتكرة الصهيونية تتصرف لتأمين مصالحها، وفرض «زعامة» أحادية على العالم مستخدمة «الهجوم على الأبراج» كذريعة.

٢- القوة التي وقفت خلف التفجيرات، عبرت عن نفسها بهذه الطريقة، لكن الملفت للنظر أنه سبقها تفجيرات، لم تعط هذه «القيمة».

٣- قامت ضجة كبرى في العالم ضد العنف والإرهاب، مسايرة لأمريكا ومجاملة.

٤- ظاهرة الإرهاب «هدف ووسيلة» هي مظهر من مظاهر العنف، الذي ينتشر في العالم طولاً وعرضاً.

٥- ومع الاعتراف بإيجابيات الليبرالية والديمقراطية «المجتزأة» وكل الجوانب التقدمية للثورة الصناعية والجوانب الإنسانية المشروطة للعولمة، فإن النظام الأمبريالي المعاصر، لا يمثل انقلاباً نوعياً معاكساً، على القاعدة الوجودية التاريخية «للعنف» بل قام بتكريسها.

٦- ذلك أن النظام يقوم على التمييز الاقتصادي المطلق؛ لذا كرس أشكال «التمييز» كافة، بكل ما تعززه من صراعات وآليات تحقق «العنف».

٧- إن الطبقة الطفيلية الأمبريالية ـ الصهيونية ـ، ذات المصالح الضيقة تتخذ من الإنتاج المستمر والمتوسع وسيلة لتفوقها العسكري الكاسح، تتخذ منه وسيلة لفرض إرادتها على العالم، وتقسيمه قياساً على هذه المصالح، وبالقوة «المتجلببة» زوراً بالقانون الدولي، وبتجاوزه حين ترغب وتريد، كما في فلسطين والعراق.

٨- هذه الطبقة تعيد إنتاج الاستعمار وهمجيته بشكل مفضوح، بعيداً عن التطور التاريخي، وعن مصالح الغالبية من شعوب العالم.

٩- هذه الشعوب التي تخنقها الأزمة الاقتصادية للرأسمالية والتي ترفع شعار: (كل من ليس معنا فهو ضدنا) والمعنى: إما أن تخدمونا أو تموتون.

١٠- هناك اليوم همجات معاصرة، فقد عرف العالم «همجات» ضد دول مثل الدولة الرومانية والعباسية، فدمرت حضارات، والدافع كان الشعور بالفقر مع الدونية، ووجود قوة كبيرة تسمح بتقويض تلك الحضارات.

١١- شهد العالم مثلاً رمي الكتب بالنهر أو حرقها، واليوم يتكرر في العراق حرق المكتبات ونهب المتاحف والجامعات وحرق وزارات بكل ما فيها.

١٢- الحكومة الأمريكية تستحوذ حالياً على حصة الأسد من اقتصاد العالم، وهي بطريقها للحصول على ما تبقى.

١٣- يجري العمل على تدمير البيئة واقتصاديات الدول الفقيرة، وجعلها تعيش على ما تقدمه لها أمريكا من معونات عينية، بحيث يتحطم اقتصادها.

١٤- قبل سقوط الاتحاد السوفياتي كان هناك نوع من «تقنين» للعنف، ومنع غير الشرعي منه، بما في ذلك الإرهاب.

١٥- مع مضي الوقت صار الأمن والاستقرار من حق الأغنياء، دون الفقراء، والأقوياء دون الضعفاء... ومن هنا جاء الاستكار الكبير لتفجير الأبراج الأمريكية... ولو حصل مثله لفقراء لما حصل عشر هذا الاستكار.

١٦- لقد شهد العالم أمريكا تضرب بقوة ليبيا والسودان وأفغانستان وغيرها فلم يعم العالم ذلك الاستكار.!!

١٧- بعض النظم في العالم سعيد، بالإرهاب؛ لأنه يطلق يدها لتفعل ما تشاء في المعارضة والنظم المشاكسة، وأمريكا تريد تجفيف منابع الإرهاب ضدها وضد حلفائها، كما تريد استغلال ذلك لفرض مصالحها.

١٨- بعض حلفاء أمريكا يستعمل قوانين الطوارئ منذ أكثر من ربع قرن دون اعتراض، وإن جرى الاعتراض فهو يهدف تسجيل موقف فقط، وفي فلسطين فالإرهاب ما يفعله الفلسطيني تحديداً، أما ما تفعله إسرائيل فمجرد دفاع عن النفس!!

١٩- معتقلون يموتون تحت التعذيب، أو بسبب الإضراب عن الطعام، فلا يذكرهم أحد... والمطلوب عسكرة المجتمع، للحصول على مزيد من القمع، وإطلاق أيدي الشرطة لتفعل ما تشاء.

٢٠- يحدث هذا بشكل يومي لدى أصدقاء أمريكا - غير المغضوب عليهم - وأمريكا سعيدة بهذا القمع وهذه «الإنجاسات الكبيرة»، وهي تحرض على ذلك ليل نهار، للتخلص من الإرهابيين والمشاكسين المعاكسين، والعمل «لتدجين» الباقيين (وإذا كان رب البيت بالدف ناقراً...)[1] أهـ.

صورة مرعبة مخيفة، الكبار كالحوت يأكلون فلا يشبعون والضعفاء يختنقون، فإن تحركوا ضربوا بسيف الإرهاب، إرهاب الكبار المتاجرين بشعار «محاربة الإرهاب»... ما الذي يحدث لو شكلت لجنة لمحاربة «الفساد» من الفاسدين الكبار؟ سيطارد ويحاكم من يسرق «بيضة» ويفلت من يسرق الملايين، أفراد وجماعات يقبض عليهم، ويمارس عليهم تعذيب، فإما أن يعترفوا بجرائم لم يقترفوها فيحكم عليهم، وأما الموت يومياً تحت التعذيب، أو الاعتقال بسجون سنوات دون محاكمة وفي حبس انفرادي، فإذا أطلق بعد سنوات فإما أن يكون مجنوناً أو معتوهاً أو نصف مجنون، أو مصاب بأكثر من عاهة.

والسؤال: أهكذا تكون قيادة العالم؟ أم هذا «سيرك» لترويض حيوانات متوحشة؟

---

(١) الحياة من مقال افتتاحي لجميل معرفي، ٢٠٠٣/١٢/٢٨م .

بريجنسكي ينتقد سياسة بلاده

مستشار الأمن القومي الأمريكي «بريجنسكي» منزعج أشد الانزعاج من سياسة بلاده، ومن محتوى الخطاب السياسي «الرسالي» المتعالي على كل البشر، وهو ينقد هذا الخطاب نقداً عقلانياً، حيث يعتبر «إدارة بوش» تعتمد في خطابها السياسي والإعلامي الكثير من الكلمات غير المألوفة، والتي لها أسوأ الأثر على علاقات أمريكا بالعالم، ويضرب لذلك مثلاً اليمين الإنجيلي المتطرف، فسيتنكر جداً القول بأن دولاً «تكره الحرية»، فهذا مما لا يصدقه أحد، وتكون النتيجة فقدان «الصدقية» للسياسة الأمريكية، ومثل التحدث باسم الرب، وتنفيذ إرادته، فهذا الخطاب الديني لا يقبل من رئيس (علماني)، ومثل إن أمريكا يحسدها الفاشلون لغناها وقوتها، ولما لديها من العدل والحرية والمساواة والإرادة السماوية، فمن ينكر ذلك فهو عدو لأمريكا... أهـ.

هذا الخطاب لم يعد يسمعه العالم من (الفاتيكان) مثلاً، وهو خطاب «دراويش حنافيش» كانوا يتعلمون في «تكية»، وليس كل ما يقال في «تكايا» مغلقة يصلح لدولة تريد إقامة إمبراطورية، وتتطلع لقيادة العالم والإبحار به صوب السلام والاستقرار!

في بلد عربي وفي ضيعة كان ثمة «درويش» أطلق عليه «شيخ حنا» رجل أمي لا علم ولا معرفة، استهواه «اللقب العظيم» فراح يتساءل باستغراب ويكرر ذلك: ما الذي حصل للناس حتى لم يعودوا يسمعون لأحد ولو كان «شيخاً»..!!

الذي حصل يا شيخ حنا أنه بعدما كثر «الشيوخ» ووصل إلى المشيخة «زعران» وراحوا يتحدثون باسم الله، سقطوا وسقط ما يقولون، فادع الله تعالى أن يخلص العالم من أمثال هؤلاء (الشيوخ)، وإلا فعلى العالم السلام يا شيخ حنا.

هل صحيح

مراسل صحيفة الحياة في لندن كتب[1]: خبراء إسرائيليون يدربون فرق اغتيالات خاصة تابعة للجيش الأمريكي مهمتها مطاردة وقتل رجال المقاومة العراقية، فإذا أضفنا لهذا نقل وسائل التعذيب وأولها وضع أكياس «الخيش» في رؤوس الناس، مع كل أصناف التعذيب الإسرائيلية، المنقولة عن وسائل التعذيب الروسية والألمانية الشرقية وغيرها، علمنا النهاية العظيمة للاحتلال الأمريكي، وكل احتلال.

إن العالم يمكن أن يحترم أو يحتقر دولة ما لحسن تعاملها أو حقارة ذلك، والتعذيب القائم في فلسطين والعراق وأفغانستان، وأي معتقل سري، يمكن أن يقتل أو يتسبب في جنون العشرات أو الألوف من البشر، ولكن هذا العمل الحضاري العظيم هل سيحل المعضلات التي يعاني منها الجيش الإسرائيلي أو الأمريكي أو أي جيش محتل؟ القضية لا يحلها التعذيب ولا القتل، ولا بد من البحث عن وسائل جديدة، ولنتذكر جيداً ما كان سائداً في روسيا وتوابعها، فهل نجح الأسلوب؟

محاولة للفهم

الناس قد يتفقون على الوقائع، لكنهم لا يختلفون في تفسيرها، من هنا نشأ «تفسير التاريخ»؛ فالناس لا يختلفون أن الدولة الأموية سقطت عام (١٣٢) هـ لكنهم يختلفون حول أسباب هذا السقوط السريع.

ومثل ذلك سقوط الدولة العباسية والإمبراطورية البيزنطية وغيرها.

واليوم مع انتشار وسائل الاتصال والمواصلات، ومع ذلك بقي الخلاف وربما زاد وتوسع.

---

(١) الحياة في ٢٠٠٣/١٢/١٠م.

وما يحدث في عالمنا القريب داخل فلسطين وفي العراق وما حوله يسبب الحيرة، فما تقوله جهة تهدمه جهة ثانية، وما يدعيه طرف منتفع، ينفيه طرف متضرر، وخلال ذلك توشك الحقيقة أن تضيع، فإذا أضفنا أن دولاً كبرى راحت (تخترع) معلومات وأحياناً تسميها (حقائق) ثم تنشرها، ثم لو أضفنا الحرب الإعلامية وآلتها الكبيرة، وما يوظف فيها من مال وأكاذيب، علمنا كيف يمكن أن تختفي حقائق، وتروج أكاذيب، ويتقدم دجالون، ويختفي رجال أشراف.

على سبيل المثال يوجد مركز الدارسات السياسية والاستراتيجية في القاهرة وله أكثر من مثيل في العالم العربي وخارجه، أصدر «التقرير الاستراتيجي العربي» وأنجز الطبعة عام (٢٠٠٣)م... التقرير جاء موسعاً بحيث غطى أكثر من (٤٦٠) صفحة[١] يهمنا هنا ما ورد عن (الأزمة الأمريكية العراقية).

فخلال عام (٢٠٠٢)م حتى الربع الأول من عام (٢٠٠٣)م حيث اشتعلت الحرب الأمريكية العراقية، وأول ما يلفت النظر أن النظام الدولي تطور بحيث صارت حركته تسير باتجاه صراع «إرادات» بين الولايات المتحدة وبريطانيا، ومعظم القوى العالمية من جهة، بالطبع لم يكن «الصراع» يتعلق ببقاء النظام السياسي الحاكم بالعراق، فهو كان يعيش أيامه الأخيرة، وكذلك لم تكن الترتيبات العسكرية والسياسية حول ما ينبغي فعله في العراق، ولكن الخلاف يتعلق بالنفوذ، وعلاقات القوى ببعضها.

فثمة قوة دولية كبرى تريد وتعمل للسيطرة على العالم، وقوى أخرى لا ترضى بذلك، وتعمل على منعه، وهذا التصارع شمل كيفية إدارة العلاقات الدولية وكيفية التعامل مع القضايا الساخنة في العالم.

---

(١) التقرير مسؤول التحرير عنه (حسن أبو طالب)، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

الإرهاب الدولي

يذكر التقرير أنه كان لسطو عناصر «اليمين الديني السياسي» على إدارة الرئيس الأمريكي جروج بوش، نتائج سياسية «خطيرة» تمثلت بممارسة سياسة «محافظة» ذات طابع هجومي، وهو ما بلور لاحقاً مفاهيم (استباقية) تحمل نذر فوضى شديدة، في العلاقات الدولية، وفي توظيف كل شيء من ثروة وقوة عسكرية، وعلى صورة «فجة»، وقد أصابت هذه الإستراتيجية قضايانا العربية بمقتل، وعلى رأسها القضية «العراقية والسودانية والفلسطينية والأفغانية..».

هذا الشعار يصلح بنفسه أن يصنف بأنه «إرهاب»، فالعالم منقسم إلى معسكرين لا ثالث لهما: معسكر خير، يقابله معسكر الشر، ودول خيرة في مقابل دول مارقة، ودول محبة للحرية، ودول معادية للحرية وهكذا.

هذا التقسيم «الثنائي» علته بنفسه وبما يحمل من معان، وستكون له عواقب وخيمة على صراع القوى في العالم، وقد يدفع من جديد لتكوين قوى وتكتلات جديدة تعيد للعالم صورة ذلك الصراع بين الاتحاد السوفياتي والغرب الرأسمالي، وقد يدفع هذا نحو حرب كونية جديدة لا تبقي ولا تذر، يقودها مهووسون وتجار حروب، وقادة يحلمون ببناء إمبراطورية جديدة، في زمن ماتت فيه الإمبراطوريات، وتفتت فيه دول صغيرة، ويفتقد فيه العالم (العدالة) وترتفع فيه رايات القوة، مع شعارات غريبة: أنا قوي فأنا على حق، وأنت ضعيف فلا حق لك.!!

هذا التصور يمكن أن يسود في الغابة، أما الحضارة فلا تعيش مع هذه الشعارات، والمطلوب على الأقل لون من التعادل والتعايش بين (القوة والعدالة) وإلا فإن حضارة العالم ستنتكس إلى «بربرية» جديدة، تفوق كل البربريات السابقة، وربما ترحم الناس على هولاكو ونيرون وربما هتلر وستالين.!!

القضية جد، ومستقبل العالم اليوم بأيدي «مهووسين» وتجار حروب، فإما أن يبعدوا عن القيادة، وإما أن يحرقوا العالم، والصراع على أشده، بين عقلاء يخافون ومجانين يجازفون، نسأله تعالى العافية والسلام.

أمريكا وإسرائيل من الجار ومن المجرور

ما طبيعة العلاقة بين أمريكا وإسرائيل؟ من يقود من؟ ومن يستعمل من؟ إن المواقف راحت تتطابق بين أمريكا وإسرائيل، حتى زالت الفوارق واختفت، ولولا ما يسببه هذا التطابق لنا من أذى، لما أشغل أحد منا نفسه بذلك، وكذلك فإن «الفيتو» الأمريكي لم يعد يستعمل إلا ضدنا، ولمنع محاسبة أو لوم إسرائيل، وقد رفع هذا الدعم من عدوانية وعنصرية إسرائيل، فصارت تهدم البيوت على ساكنيها في فلسطين، فتهدم (٤٠٠٠) بيت على مدى أربع سنوات وتقتل من تشاء وتعتقل من تشاء، والعالم المنافق لا يزيد عن المطالب بضبط النفس، فإذا أخذنا بنظر الاعتبار ما نشرته الصحف العبرية، ومنها تقرير لمراسل «هآرس» من واشنطن أن الحرب على العراق أول ما طرح كان من قبل (٢٥) مفكراً أمريكياً من المحافظين الجدد «جميعهم تقريباً من اليهود ...»[١].

مستشار الرئيس الفرنسي الراحل «فرانسوا ميتران» له كتاب جيد عنوانه (اليهود: العالم والمال)[٢] جاء فيه: لقد لقنت التجربة اليهودية يهود العالم درساً يتوارثونه جيلاً بعد جيل، خلاصته: من يرد السيطرة على العالم فأمامه طريقان:

الأول: امتلاك المال.

والثاني: امتلاك الإعلام.

---

(١) صحيفة الحياة، ٢٠٠٣/٣/٢٣م.

(٢) حصاد الكتب، إعداد موقع الإسلام اليوم لعام ١٤٢٥هـ، ص (١٧٠) .

ويضيف المستشار، وبالمناسبة فهو كاتب يهودي مرموق؛ ولذا فهو ليس متهماً، وهو يضيف موضحاً ما تقدم طرحه أن قادة أوروبا في القرن التاسع عشر كانوا أشبه «بالعرائس المتحركة» في أيدي اليهود، فحروب «بسمارك» مولها وشجعها رجال أعمال يهود، ومشروع السكك الحديدية في أمريكا قام به يهود.

ومع بروز الإعلام بأنواعه كقوة طاغية، اتجه اليهود لإحكام القبضة على أجهزته وفي كل دول العالم تقريباً، حتى لا تكاد تخلو مؤسسة إعلامية من وجود عنصر يهودي أو أكثر، كل ذلك مدفوع برغبتهم في «التسيد» على العالم، وتنظيف وتلميع السلبيات، وإضافة الإيجابيات، وكما يقول «جورج أورديل» بأن الروايات عندما تردد القضية بشكل متواتر، فالكذب يصبح حقيقة، لكن الجانب الأخطر في الموضوع كان يتمثل في إسكات الصوت المخالف أو المختلف مع الصوت اليهودي، ومحاصرة كل فكر يناقض فكرهم، ومن الأمثلة إجبارهم وزير التعليم الفرنسي على سحب درجة الدكتوراه من الباحث «هنري روك» في جامعة «نانت»؛ لأنه ناقش في أطروحته وثائق نازية، نافياً وجود أفران للغاز.

ويبحث «جاك» في نشاط اليهود الاقتصادي لينتهي: لولا المساعي اليهودية لما تحققت «العولمة المؤمركة» أو الأمركة المعولمة ـ لا فرق بينهما ـ..

بعد ذلك يتحول إلى موضوع الساعة الساخن «الإرهاب»، فيؤكد أن كل الشواهد تؤكد أن «حرية الفكر مخنوقه» في العالم أجمع، وهي مهددة بشكل أو بآخر بنموذج العولمة، الذي فرض فرضاً على المرحلة الراهنة، مع رفض (الاختلاف) والتعددية في السياسة والثقافة.

ويحمّل «جاك» قادة الفكر مسؤولية التردي الفكري؛ لأنهم أسرفوا في تأييد الإيديولوجيات المختلفة، واتخذوا مواقف متناقضة، تبعث على السخرية.

يقرر بعد هذا أن (العولمة) اليوم تشهد الإرهاب الفكري من نوع خاص؛ فالعولمة أو الليبرالية الاقتصادية صارت «الدين المسيطر» بعد أن صار العالم «سوقاً واسعة» وهي التي تقرر: ما هو دور السياسة إذن؟... أهـ.

قديماً كان يقال لنا ولغيرنا، يتوجه المبشر أولاً إلى أقطار الأرض، ثم يتبعه الجيش الاستعماري، ليوطد الأرض للاستعمار الاقتصادي.

اليوم يقال لنا ولغيرنا: افهموا يا... العولمة تتطلب أسواقاً مفتوحة، وهذه تتطلب اقتصاداً قوياً، والكل يتطلب قوة عسكرية ناشطة، ومن هنا يدخل (شيطان الحرب) أو إله الحرب «مارس» عسكر مدجج بأحدث الأسلحة في خدمة الاقتصاد، واقتصاد قوي يمد العسكر بالمال، وتعود القضية إلى التساؤل: الدجاجة من البيضة أم البيضة من الدجاجة، والسؤال الجديد: ما العلاقة بين أمريكا واليهود، من الجار ومن المجرور؟

أمريكا وموجة الجنون

أسارع للقول بأن العنوان للكاتب والروائي البريطاني الشجاع «جون لوكاريه» فهو يقول بملء الفم: إن الولايات المتحدة تشهد «موجة جنون» هي الأسوأ، بين كل ما شهدته في تاريخها، ويحتمل أن تكون على المدى البعيد أشد وقعاً من حرب الفيتنام... وهو يعزو ذلك لمجموعة من الأزمات الكبيرة، كشرعية رئاسة بوش، وانهيار شركة «إنرون» وصلتها بالمسؤولين الأمريكيين، والانحياز الكبير للشركات الكبرى، وعدم الاهتمام بفقراء العالم، ولا المعاهدات الدولية، ثم العلة الكبرى وهي «الانحياز المطلق لإسرائيل» وما يجره من خطايا وبلايا.

ينتقل «لوكاريه» لذكر ما يسميه (الجانب المقزز في الحروب الاستعمارية الأمريكية للهيمنة على العالم) وفوق هذا وذاك بروز «النفاق الديني» حيث يغطي به

المحافظون الجدد إرسال الجنود إلى القتال، وتعميم أن (الله أوكل إلى أمريكا إنقاذ العالم) وكل من يتشكك في ذلك فهو إما عدو للسامية أو عدو لأمريكا وإرهابي..

إن من يدرس سيرة «بوش» والمحيطين به سيكتشف تورط «الجماعة» في فساد الشركات الكبرى، التي من أهدافها البحث عن حرب جديدة تنقذها من الخسائر التي تضربها، وكي تغطي على الفضائح والفشل السياسي والإعلامي...

يعتقد (لوكاريه) ويشاركه كثيرون أن العراق لم يعد يشكل تهديداً لجيرانه، ولكن سوء حظه سببه وفرة (النفط) في بلده، وبكميات هائلة، يسيل لها لعاب أمريكا يمارسون أبشع الانتهاكات لها، ومعها الحريات والديمقراطية[1]... أهـ.

ومعلوم أن الجنون فنون، منه وعلى رأسه جنون العظمة، وعدم الاعتراف بخطأ ولو خربت الأرض، ومات من على وجهها، ومن الجنون «المراهقة السياسية» المتمثلة بتجاهل الواقع، ومعالجة الأمور بعيداً عن ذلك، وقد عرف العالم مراهقين عاشوا وماتوا كذلك، فجلبوا للعالم ولبلادهم الكوارث والويلات، وكان الواجب كف هؤلاء وإبعادهم عن السلطة، ولكن جيوش النفاق والمنتفعين ظلت تحول دون ذلك، فهي المستفيد الأول من هذا (الجنون) بالرغم مما يسببه من كوارث، ومن المفارقات أن «المراهق جنسياً» سرعان ما يتجاوز هذا الدور، لكن المراهقة السياسية تتجذر وتتعمق مع مضي الوقت، حتى يصبح المصاب هو الزعيم الأوحد، والزعيم الملهم، والرجل الرجل، والأخ الأكبر، ألقاب تخترعها زمرة «النفاق» وتجددها يوماً بعد يوم، وكلما بليت أعيد طليها بدهان «نفاقي» يعيد لها البريق واللمعان.

سمعت من اللواء «حسن النقيب» أن مجموعة من الضباط كانوا مجتمعين مع الزعيم الأوحد «عبدالكريم قاسم» في وزارة الدفاع، وفجأة جاء مرافق الزعيم وطلب بحماس وقوة أن يتحول الضباط إلى «شرفة»، وهناك أشار للقمر ـ وكان بدراً ـ وقال: انظروا صورة الزعيم على وجه القمر.

مسكين أيها القمر؛ فقد حولك النفاق إلى «مستودع» للدجل والشعوذة..!!

(١) المرجع السابق، ص (١١١).

الإرهاب: داء أم دواء

عنوان غريب دون شك، فالطبول تقرع دون توقف، والراقصون كلهم يلعنون الإرهاب، والفيلسوف الفرنسي «جان بودريان» يتحدث عن (ذهنية الإرهاب)[1] الإرهاب قضية ذهنية، والغريب أن من يمارسه ليس كمن يمارس الحرب بجنود وقيادة، أما الإرهاب فإن «بودريان» يطرحه وسط فرضيات حول العنف والعولمة والغرب والإسلام... الجديد لدى (بودريان) أنه ينص على أن النظام العالمي المهيمن يقتضي بالضرورة وجود «إرهاب» كي يستمر هذا النظام في العمل والسيطرة؛ لأنه «دون إرهاب» سينهار هذا النظام، فهل ثمة تواطؤ بين الإرهاب والنظام العالمي؟ وينبه (بودريان) أنه ليس بالضرورة وجود خطة مسبقة، لكن نظام الهيمنة والعولمة والسلطة، يحمل في ذاته نقيضه..

والأمريكيون يحتاجون - في نظر الفيلسوف - لأن يكونوا ضحايا، كي يتعاطف العالم معهم، فيتخلص «الضحايا» من عقدة الذنب تجاه ما يفعلون، فكل ما يفعلونه رد فعل على (إرهاب مجنون)، وبالمناسبة فهناك مثل هندي يقول: فلان يقتل والده ليحصل على لقب «يتيم».

في حرب «البعث» ضد البيشمركة الكردية جندت أكراداً وعرباً، تدفع لهم رواتب جيدة وتقدم لهم السلاح والذخيرة، بعد مدة اكتشفت الحكومة أن «الفرسان» وهذا «اسمهم» تفاهموا مع البيشمركة، بحيث يدفع الفرسان قسماً من راتبهم الحكومي مع بعض الذخيرة، كي تستمر الحرب ويستمر قبض الرواتب والذخيرة، بل صاروا يحاربون عقد أي هدنة أو وقف الحرب؛ لأن الحرب واستمرارها صارت وسيلة معيشة جيدة وجديدة.

---

(١) المرجع السابق، ص (١١٣).

فهل وصل الأمريكان إلى استثمار «جنِّ الإرهاب» المختفي، كي تشن أمريكا الحرب على من تريد، وحينما تريد؟

أولاً: لا ينكر وجود الإرهابيين، ولكن هل كل حرب تشن باسمهم تكون ضدهم؟

وماذا يسمى ما تفعله إسرائيل ضد الفلسطينيين من قتل وخطف ونسف البيوت على ساكنيها، وتجريف الأراضي، ومهاجمة المدن المزدحمة كغزة بالطائرات والمدفعية الثقيلة، وضرب المدارس وحتى سيارات الإسعاف، وترك الضحايا تنزف حتى الموت؟

أليس هذا إرهاباً متقدماً عالي المستوى، ومن دولة ضد مدنيين تحتل أرضهم، وهي مسؤولة عنهم حسب معاهدة «جنيف» وغيرها؟

يعود «بودريان» للحديث عن الموقف الافتراضي القائم على وجود قوة (غامضة) تهدد بالإبادة، كان موجوداً بالفعل في الذهن أو اللاوعي الأمريكي، وكان قائماً لديهم فقط، ولا يشاركهم فيه أحد، حتى تحول الافتراض إلى حقيقة بفضل العنف والإرهاب، تلك هي أمريكا ـ كما تحسب نفسها ـ في ظل غياب الغير، وترمق نفسها بتعاطف يكاد يقارب «العته».

وهناك رواية أخرى متطرفة مفادها: أن أحداث (١١سبتمبر) هي مؤامرة إرهابية (داخلية) نفذها اليمين الأصولي المتطرف في أمريكا، بالتعاون مع الاستخبارات الأمريكية... ولكن لو كان التفسير حقيقياً، وثبت أنه من تدبير متطرفين أو عسكريين من أمريكا، فالمحصلة تعود لتصب في الافتراض الأول، وهو أن «النظام يحمل عناصر تدمير ذاتية، ويبقى علامة على عنف داخلي مدمر للذات، ليؤكد صحة الافتراض الأول».

يعتبر «بودريان» كل استراتيجيات الأمن ليست سوى (استكمال للإرهاب) وهو انتصار فعلي، ذاك الذي حققه الإرهاب، حيث أغرق «الغرب في الهاجس الأمني» بحيث سقط في شكل مقنع للإرهاب المستمر.

لقد نجح (شبح الإرهاب) على أن يرهب الغرب نفسه، فاتخذ من الإجراءات ما جعل الكل ليعيش هذه الحالة، والتي قد تدفع نحو حرب عالمية جديدة.

إن تحطيم (البرجين) لم يسقط الأنظمة السياسية أو الاقتصادية لكن الغريب أن النظام والإرهاب تحولا معاً إلى (شبحين)، يتعذر إمساكهما، أو تحديد موضعها، وربما كانت هذه (المحصلة) هي ضربة الصميم التي تلقاها النظام... أهـ.

تفسير جيد لما حصل، فالإرهاب أفلح في صنع «قلق» كبير في العالم، تدفع النظم المليارات لدفعه وتوقيه، وتضع النظم والتشريعات لتفاديه، والإرهاب يبدو وكأنه غير مهتم بكل ذلك، لقد جعل العالم في توتر دائم، وخوف من مجهول قادم، الكل يده على قلبه، وهو يدعو (اللهم حوالينا ولا علينا) !!

وهذا يرضيه ويكفيه، حتى يضرب ضربة جديدة في مكان قريب أو بعيد.

وربما يمكن القول بأن (الإرهاب) يعيش ويقتات على فقدان العدالة وكثرة أخطاء النظم، فكل ذلك يصنع المبرر للإرهاب وييسر تجنيد شباب ليس عندهم من مال أو جاه يخافون عليه، ولا يمكن تخويفهم، فهم يرمون أنفسهم على الموت رمياً، فمن يجلس في سيارة مفخخة يعرف سلفاً ماذا سيحصل له، ومع ذلك يقدم على نسف وتفجير السيارة، فمن ماذا يخاف؟؟

قس أعمى

أذكر أني قرأت أن قساً إيطالياً كتب مستهجناً: كيف تقوم أم فلسطينية بتفجير نفسها؟ ولأنه أعمى البصيرة فالمفروض أن يجعل تساؤله: ما هو الضغط والأذى

الذي يحمل أماً على تفجير نفسها وعلى ترك صغارها أيتاماً، هذا هو المفروض، ولكنّه عمى القلوب، جعله يستنكر ما تفعله بنفسها، إن حب الأم لصغارها ليس فوقه حب، فإذا مورس عليها من الضغط ما يجعلها تفجر نفسها، فالمسؤول من دفعها لذلك دفعاً، وهو ليس إرهابياً عادياً، ولكنه (ملك الإرهاب والعنصرية) غير منازع.

فهل يفهم الأب الإيطالي الأسباب وراء ما تفعله أم تترك خلفها أيتاماً صغاراً، ليس بسبب قلة «الحنان» ولكن بسبب الموت الذي تزرعه إسرائيل منذ نصف قرن وحتى اليوم.

وسكوت العالم وصمته على ما يحصل!

ولي أمر العراق يبيعه بسوق النخاسة

(بريمر) ولي أمر العراق تصرف مثل تاجر في سوق النخاسة، حل الجيش العراقي والشرطة وسرح الألوف بالشوارع وإن تظاهروا وطالبوا بحق أمر بضربهم، فقدم خدمة كبرى لا تثمن للمقاومة، وشجعه على ذلك ـ على حد قوله ـ بعض الأصدقاء ممن لديهم مليشيات طائفية أو عنصرية كي يحلوا مكان الجيش والشرطة، وربما صفق لذلك بعض جيران العراق... من المصابين بعمى الألوان !!!

الجديد في الأمر أن «بريمر» أصدر قراراً رقم (٣٩)[1] ليعلن عن وجود أكثر من (٢٨) شركة حكومية عراقية معروضة للبيع، وباستطاعة أي شركة أجنبية أن تمتلك هذه الشركات أو البنوك كاملاً ومثلها بعض المناجم، وتحول أرباحها كاملة إلى خارج العراق.

وجاء الرد على هذا التصرف من «نعومي كلاين» في مقال نشر في صحيفة (الغارديان) ومجلة «ذي نيشن» جاء فيه: العراق ليس ملكاً للأمريكيين ليبيعوه... وقرار «بريمر» ينتهك القانون الدولي بما يجعله غير شرعي.

(١) صحيفة الحياة، من مقال لجهاد الخازن في ٢٠٠٣/١٢/١٥م .

فالقانون الدولي والمعاهدات لا تسمح للمحتل أن يبيع ممتلكات (غير عسكرية) واستعمالها كيف يشاء.

(بريمر) استولى على أجهزة الجيش العراقي وسلاحه، ثم جرى تقطيعها بمناشير لتباع (خردة) سعر الطن (٣٥) دولاراً، والعائدات تقسم بينه وبين بعض المواطنين ليجرى بعد ذلك بيع معدات أمريكية بملايين الدولارات على العراق!

يقال - والعهد على الرواة - إن طويل العمر (بريمر) خرج من العراق يحمل ملايين الدولارات... أما مخازن السلاح ففتحها لمن يريد.

وبعد كل هذا وذاك يتساءل بعض العميان: لماذا لا يحبوننا ونحن طيبون؟

كنا نحبكم قبل أن تزورونا ومعكم ملك الموت ووسائل التعذيب، والسلب والنهب، أما بعد اليوم فنحن نعتقد أن الله تعالى قد رضي عنا حين يفارقنا آخر جندي لكم، ومعكم كل أصدقائكم ووكلائكم، عندها سنعيد الحساب والتفكير فيما كسبنا وخسرنا، وستكون ذكراكم أمر من «الحنظل» ولن ننساكم حتى يموت جيل كامل.

عندما فتحت نافذة على جهنم

منذ سقطت بغداد بأيدي الجيش الأمريكي والناس يتساءلون: كيف سقطت بغداد بهذه السهولة، وفي مدة وجيزة؟

الجيش العراقي المنهك والمشكوك بولائه للحزب الحاكم، دفعه حاكم مدني لا يعرف عن الحرب شيئاً، وقرر أن يقود الدفاع عن بغداد هو وأولاده، وتعطف وتلطف فأشرك معهم وزير الدفاع، والذي كان مدرساً في كلية الأركان، وكلما اختلف الوزير مع أولاد صدام التزم صدام جانب أولاده ضد الوزير.

وكي يعلم الناس لماذا وكيف سقطت بغداد، أعود بالذاكرة إلى قدوم اللواء الركن نزار الخزرجي ، وهو بعثي قيادي غير أنه ضابط ركن محترف، جاء للعمرة فزرته مع بعض أصدقائه وسمعت من فمه، وقرأت ذلك في الصحف فيما بعد، حيث يقول الرجل: إن مكتبه في وزارة الدفاع اتصل به صباح الخميس وطلبه أن يحضر، سارع وفي وزارة الدفاع رأى «شنشل» وزير الدفاع، وسمع أن القوات العراقية دخلت «الكويت» ليلاً، فسأل الوزير، فقال: (علمي علمك) صدام المدني يرسل جيشه للكويت، دون أن يعلم وزير دفاعه ورئيس أركانه «الحزبي»، وسمعت من اللواء «وفيق السامرائي» أكثر من مرة أن صداماً كان يردد: لا تخافوا ليس هناك حرب، وحين يقال له إن الحشد في الكويت بلغ كذا وكذا يضحك ويكرر: لا تخافوا، (ماكو حرب).

وكنت ولا زلت أتمنى لو قاتل صدام كما قاتل أولاده ولم يستسلم، ويقول بأن الأمريكان أهانوه وعذبوه، وأن آثار التعذيب ما زالت على جسده، كرر ذلك أكثر من مرة خلال محاكمته.

«رجيف سيمونز» في كتابه «عراق المستقبل» ترجمته ونشرته دار الساقي بلندن وقمت بالتعريف به في مجلة «الفيصل».

رجيف كتب قائلاً[1]: دخلت الدبابات الأمريكية بغداد في غضون أقل من ثلاثة أسابيع بعد أن أطلقت القوات الأمريكية حوالي (٨٠٠) صاروخ توماهوك، مع (٢٠) ألف طلعة جوية، ألقت أكثر من (٥٠) قنبلة عنقودية، وأطلقت (١٢) ألف قذيفة ذات توجيه دقيق، واستخدمت قنابل «بمزيج من الوقود والهواء» تعادل قوة انفجار كل منها قوة «نووية تكتيكيه» وبلغت الخسائر البشرية العراقية عشرات الآلاف مقابل (٨٨) قتيلاً للحلفاء، منهم (٣٤) قتلوا بنيران صديقة... أهـ.

(١) عراق المستقبل، طبعة ٢٠٠٤م، ص (٢٩).

هذه القنبلة من مزيج وقود وهواء، أطلق «رامسفلد» وزير الدفاع الأمريكي على هذه القنبلة اسم «قنبلة جهنم»، وهي تحرق الأوكسجين في دائرة قطرها معروف، بحيث لا تبقي حياً، فالإنسان والحيوان والنبات، يعيش على الأوكسجين إذا احترق ماتت الأحياء، ويبدو أن القيادة العراقية حين جوبهت بهذه القنابل وبالقيادة الجاهلة السيئة لصدام وأولاده؛ لذا قررت إنهاء الحرب التي تفتقد المكافأة، كما تفتقد القيادة التي لا علم لها بالحرب ولا بمتطلباته.

وقديماً قال شاعر:

خلق الله للحروب رجالاً ورجالاً لقصعة وثريد

أمراء المليشيات في أفغانستان قاتلوا قتال الأبطال، فلما استلموا أفغانستان ظلوا على العقلية نفسها حتى خربت البلاد وهلك العباد.

مثلهم أمراء القتال في الصومال ما زالوا يقاتلون حتى مع عدم وجود شيء يستحق القتال... وهنا توجد «طرفة» رجل ذهب للصحراء وعاد، سأله أصحابه ماذا رأيت؟ قال: رأيت ذئبين يتقاتلان، أكل كل واحد منهما صاحبه فلم يبق منهما سوى الذيل... والكثير من هواة القتل مستعدون للوصول لهذه النتيجة.

عقدة العراق اليوم والحل

يعيش العراقيون اليوم على «حافة الموت» مليشيات طائفية وعنصرية تقتل على الهوية، مما دفع بالعراقي أن يحمل أكثر من هوية حتى يبقى حياً.

القوى العسكرية متكافئة، وكل طائفة عددها عشرة ملايين أو أكثر، والسلاح موجود في البيوت والمساجد والكنائس والحسينيات، وإلحاق هزيمة من طرف لآخر غير وارد؛ ولذا فالحل يجب أن يكون سياسياً وليس عسكرياً.

منذ قامت الحكومة الوطنية العراقية ـ بعد الحرب العالمية الأولى ـ ظل الأكراد يثورون، تعاقبت الثورات دون حل، وقد وجد الأكراد لهم حليفاً بشخص شاه إيران، فكلما حاصرهم الجيش العراقي تدخل الجيش الإيراني وفك الحصار، حاول (صدام) حل المعضلة، وذات يوم اجتمع مع الشاه عام ١٩٧٥م في الجزائر طالباً حلاً سياسياً للقضية، اتفق الطرفان، وعاد كل إلى بلده، وبدأ تنفيذ الاتفاق، فانتهت الثورة الكردية كلياً وحاول كل من لحق به الأذى أن يتحرك ولكن دون جدوى، آية الله الخميني حليف صدام سحب منه كل شيء أعطيه، فغضب وتوجه إلى الكويت كي يغادر من هناك، فلم يسمح له، وهكذا كان الحل السياسي سحرياً.

واليوم لا حل في العراق إلا «الحل السياسي» أو حرب ـ على النمط اللبناني ـ تستمر عشرات السنين وتقسيم العراق إلى ثلاث دول، والخرائط جاهزة في واشنطن، وقد اطلع عليها وزير العدل العراقي السابق د. مالك دوهان الحسن.

فإن حصل ذلك فستقوم في جنوب العراق «دويلة» تتحول من الحماية الأمريكية إلى الحماية الإيرانية، وسوف تستأسد المليشيات، وكل حزب وكل ميليشية سيستولي على (أنبوب نفط) أو أكثر، وبالمناسبة فإن أنابيب نفطنا اليوم تعمل دون عدادات، وفقاً (لقانون العشائر والمليشيات) وستشتعل الحرب، فلا يبقى من ذئاب المليشيات سوى «الذيل»، وسيقول ناس: لا كان النفط ولا المليشيات ولا القتل على الهوية وغيرها.

سيقول بعضهم: لماذا ترفع الرايات السود، ولماذا لا تتفاءل؟

فأرد بحزن: من أي الطرق يأتي التفاؤل؟ من القتل اليومي أم من التهجير الطائفي، أم من القصف الذي تمارسه الطائرات الأمريكية ليل نهار؟

فإذا شبع الناس قتلاً وتهجيراً وقصفاً، فقد يأتي الحل السياسي ـ كما جاء لبنان ـ وقد يستمر القتال إلى أمد يعلمه الله وأجهله.

أناشد كل عاقل في المنطقة أن يعمل لحل سياسي، يقوم على العدل، وإعطاء كل صاحب حق حقه، أما المليشيات فإن أصر «بعضها» على دمجها في الجيش أو الشرطة، فستكون النتيجة تحول الجيش والشرطة إلى مليشيات وليس ذوبان المليشيات. أما الفيدرالية فالمقصود الأبعد منها «أنابيب» النفط وليس الفيدرالية، وكل فيدراليات العالم لا تساوي أنبوب نفط واحد يشتغل دون عداد.

من ابحث عن المرأة إلى ابحث عن النفط

حين كانت المرأة محتشمة لا تغادر بيتها إلا لحاجة، كانت «عملة نادرة» لكنها بعد أن تركت البيت وساحت في الشوارع، وركضت خلف الوظائف، صارت رخيصة، وصار البحث جارياً عن (الذهب الأسود) بسببه تقوم الحروب ويقتل البشر، وتعقد الصفقات سراً، وقد يعيد التاريخ نفسه، فبعد احتلال العراق من قبل بريطانيا كان النفط «الدرة الجديدة» عندها تحركت الحكومة الأمريكية نيابة عن شركة «ستاندر أويل» الأمريكية وقالت أين نصيبنا؟

هنا شعر وزير خارجية بريطانيا آنذاك اللورد «كورزن» بما يكفي من الثقة والاعتداد بالنفس ليعلن في ١٩٢١/٤/٢١م: إن الشركات الأمريكية الراغبة في الوصول إلى منابع النفط في منطقة الشرق الأوسط البريطانية، لن تعطى أي امتيازات[1]... أهـ.

اليوم تتقدم الجيوش الأمريكية لتقول: لن تعطى امتيازات نفطية في العراق إلا لمن أيد حرب العراق، أو أسهم فيها، افهموها يا...

ومع ذلك يريد منا بعضهم أن نصدق أن الأمريكان يموتون وينفقون المليارات من الدولارات من أجل أن ننعم بالديمقراطية وحقوق الإنسان والحيوان، وأن نتعلم

(١) المرجع السابق، ص (١٣٢).

التعددية «النفاقيه»، وأخيراً كيف نأكل الهمباركر مع الببسي أو الكولا، ونستمتع بفضائية «الحرة» وإن لم يكن لدينا كهرباء إلا ساعة واحداً يومياً.

ونسأل ـ مجرد سؤال ـ لو كان في العراق آبار «دبس» بدلاً عن «النفط» هل كنا نتشرف بزيارة الرئيس صاحب الطلعة البهية كل شهر، ووزير دفاعه ووزيرة خارجيته، وأن ترسل لنا أمريكا أكثر من (١٥٠) ألف عسكري ولتنفق عليهم خمسة مليارات شهرياً، وأمريكا تصرخ «لله يا محسنين» !!.

وسؤال آخر وأخير: هل كان النفط نعمة أم نقمة، وهل الأفضل أن يكون «دبساً» مثلاً أو حتى «ببسي»؟.

«رجيف»[1] الكاتب يرى أن النفط بدلاً من أن يساهم في تحرير العرب والإيرانيين وأمثالهم كما ينبغي، فقد أدت ـ هذه الثورة ـ إلى إخضاع هذه الشعوب، وامتهان كرامتها.

فهل العيب في الثروة نفسها أم بالقائمين عليها؟؟ أم بنهب وشبق القادمين من وراء البحار؟.

(١) المرجع السابق، ص (٣١٥).